المجالس الخاصة لبعض خلفاء العصر العباسى الثانى

د. سلوى عبد الخالق على أحمد يوسف *

ملخص

كان للخليفة العباسى مجلسان مجلس رسمى، أما المجلس الخاص – وهوموضوع البحث– فقد كان فيه الخليفة أكثر قرباً وألفة بجلسائه، فكان منهم رجال الدولة من وزراء وكتاب وقادة وكثيرا ما كان الخليفة يقرب اليه العلماء والادباء والشعراء والندماء، وكان يحضر مجلس الخليفة بعض النساء ممن ذاع صيتهن من الجوارى والملحنات.

وبدلا من توجيه الأموال إلى مرافق الشعب وحاجاته أو إعداد الجيوش، نرى بعض هؤلاء العباسيين ينفقون الأموال فى وجوه السفه واللهو والملذات.

والإسراف فى المجالس الخاصة كان إهداراً لبيت المال ويضاف الى ذلك قلة موارد الدولة، كل ذلك أدى إلى وجود تباين فى الدخول، فقل عدد أصحاب الدخول الكبيرة نتيجة مصادرة أموالهم لسد نفقات الدولة.

وقد ضاعت الخلافة، حتى إن الخليفة فى ذلك العصر لم يعد قادراً على تصريف الأمور.

ولو عقدت مقارنة بين خلفاء العصر العباسى الأول وخلفاء العصر العباسى الثانى لوجدنا اختلافا كبيرا؛ كان للخلافة فى العصر العباسى الأول مكانة عالية وهيبة أخضعت المماليك وأذلت العروش، ولكن سرعان ما بدأ الضعف والتدهور فى العصر العباسى الثانى؛ إذ تولى الخلفاء الذين انغمسوا فى ملذاتهم و اهملوا أحوال الرعية.

* كلية التربية – جامعة المنصورة.

Private"Chambers" of some Abbasid caliphs in the Second Abbasid Period

Abstract

Feature points that, Abbasid Caliph has two chambers, ceremonial chamber and property chamber for the property chamber, the Caliph was a more approaching and familiarity with his men, that some of them were people as ministers, scribers and commanders, and always circles, literary and poets were approach from him, that …Some women from famous bondwomen and wide composers.

Appositive from direction money to associate of public and their needs or preparation army we see that some of such Abbasid Calips from Abas Family was spend money for their distraction and pleasure.

From another side, luxury in property chambers was brawl for public money house with decrease in nation resource that it serve to finding inequality in incomings…that making decreasing for count of owner of large incoming effect to attachment their money to plug nation costs.

Waste prestige of caliphate in that time, not able to inflection command that was purpose avidity in him.

So, If we compare between first Abbasid period and second Abbasid period we will find a big difference, that there was a high place and prestige that deterioration be started in second Abbasid period where Caliphs hold who overflow in their pleasure and eliminated patron's condition.

مقدمة

أرسل الله محمداً صلى الله عليه وسلم بدين قويم، بشيراً ونذيراً، فقام بما حُمِّل، وبلغ رسالة ربه كما أمر ليستضيء العالم بنور الإسلام، وما أرفعها درجة تلك التى اختصت بها أمة الإسلام، وما أعظمها مكانة تلك التى ينالها الذين يتبعون الرسول النبى الأمى، ووسطية الإسلام تتجلى فى نهى الحق سبحانه وتعالى عن الغلو والإفراط، والتفريط، والإسراف.

وقد جاءت آية الفرقان مؤكدة هذا المعنى فى قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَاماً﴾(1).

وما أحوج المسلمين فى أيامنا هذه إلى أن يتبعوا النهج الذى رسمته الآيات فى المعانى الجامعة الشاملة لنظم حياتهم وضبط حركتهم وحفظ حوزتهم، وإغناء فقيرهم وإعزاز ذليلهم، وتقوية ضعيفهم، وجمع شملهم، وبسط نفوذهم، وإحياء مجدهم، وحمل الناس على دينهم وإرضاء ربهم.

ويسعى هذا البحث إلى رصد صورة من المجالس الخاصة لبعض خلفاء بنى العباس فى العصر العباسى الثانى، وذكر ما فيها من صور الإسراف والتبذير والبذخ الشديد.

وسوف يتم تتبع ذلك فى عهد خمسة خلفاء ؛هم:

1- الخليفة المتوكل على الله (232-247 هـ/847-861 م)

2- الخليفة المعتضد بالله (279-289 هـ/892-902 م)

3- الخليفة المكتفى بالله (289-295 هـ/902-908 م)

4- الخليفة المقتدر بالله (295-320 هـ/908-932 م)

5- الخليفة الراضى بالله (322-329 هـ/934-940 م)

وإنى لأرجو أن يكون هذا البحث على وجازته إسهاماً علمياً يلقى الأضواء على المجالس الخاصة لبعض الخلفاء فى العصر العباسى الثانى ويوضح مدى الإسراف والبذخ فيها.

مجالس الخلفاء

كان للخليفة العباسى مجلسان، مجلس خاص ومجلس رسمى. وكان مجلسه الرسمى يجلس على سرير الخلافة فى نهاية إيوان رحب به أثمن الرياش وأجمل

الزينات، وكان يحجب الخليفة عن الحاضرين ستر كان أحياناً يرفعه فيبدو الخليفة أمام الحضور بهيئة تبعث على الاحترام والخشوع. وكان ينتظم هذا المجلس الرسمى كثير من المراسم والتقاليد التى تؤكد من رفعة الخلافة وجلالها؛ مثل مراسم الدخول على الخليفة، والتحية، والكلام، والجلوس، والانصراف.

أما فى المجالس الخاصة وهى موضوع البحث، فكان الخليفة يبدو أكثر قرباً وألفة بجلسائه الذين كانوا يختلفون من حيث الوظيفة ومدى الصلة، فكان منهم رجال الدولة من وزراء وكتاب وقادة وأعيان، وكثيراً ما كان الخليفة يقرب إليه العلماء، والأدباء، والشعراء، والندماء، كما كان يستمع إلى المغنين والموسيقيين والقصاص. وجرت العادة أن يجزل الخليفة العطاء للمجيدين منهم والمقربين إليه. ولم تكن المجالس مقصورة على القاعات والأواوين بل أحياناً كانت تُعقد فى البساتين والسفن حيث كان يستمتع الخلفاء والمقربون إليهم بالمنادمة واللهو فى نهر دجلة. وقلد الأعيان من الشعب خلفاءهم فى الأخذ بأسباب المتعة واللهو، فكان للوزراء والقواد ورجال الدولة مجالس للترفيه والتسلية واللهو عمرت بمظاهر الأبهة والثراء[2].

مجلس الخاصة للخليفة المتوكل على الله[3]

كان يتكون من مجموعة من المقربين من الخليفة وكان يحدث فيه بعض التجاوزات الخارقة للعادة منها ما ذكر على لسان ابن حمدون[4] أشهر ندماء المتوكل فى أحد مجالس المتوكل الخاصة، ذاك أن الخليفة اشتهى أن يجعل كل ما تقع عليه عينه فى يوم من أيام شربه أصفر، وأمر بذلك فنصب له قبة مذهبة، ومفروشات صفراء، وشراب أصفر فى صوانى الذهب، ولم يحضر من جواريه إلا الصفر، عليهن ثياب قصب أصفر، وخلط مياه البركة بزعفران حتى اصفرت، وعندما نفد الزعفران استعملوا العصفر (صبغ أصفر اللون)، وقدرت تكاليف ما لزم ذلك اليوم من الثياب والزعفران ما يساوى خمسين ألف دينار[5].

ومن مظاهر الإسراف أن الخليفة المتوكل أعطى الشاعر الحسين بن الضحاك صديق أبى نواس أربعة آلاف دينار مقابل أربعة أبيات قالها يصف فيها كرمه[6]. وقيل إن المتوكل قال ذات يوم لأبى العيناء وكان ضريراً: أى شىء فقدته بذهاب بصرك؟ فقال: فقدت كل شىء لحرمانى من رؤيتك يا أمير المؤمنين. فاستحسن جوابه وأمده بعشرين ألف درهم[7].

وكان المتوكل يختار ندماءه من رجال لهم مميزات خاصة، كأن يكون شاعراً حاذقاً فى المدح أو منجماً أو راقصاً أو مغنياً، ومن ندمائه محمد بن عمر البازيار الشاعر الذى كان يدعوللمتوكل فيقول: "أبقى الله أمير المؤمنين إلى يوم القيامة وبعد القيامة بشىء كثير"[8].

ومن ندمائه أيضاً رجل يسمى عبادة المخنث، كان يحضرمجلسه للرقص والغناء فى مجالسه، وكان يطلب منه أن يتعرض فى غنائه لخصومه من العلويين ويندد بهم، ولم يسلم الإمام على بن أبى طالب رضى الله عنه، فقد تعرض لأشد الهجاء وأعنفه، فكان عبادة يشد على بطنه شيئاً تحت ثيابه (مخدة) ويكشف رأسه الأصلع ويدخل وهويرقص ويقول: "قد جاءكم الأصلع البطين على خليفة المسلمين"، والمتوكل يضحك، وفعل ذلك يوماً فى حضور المنتصر بن المتوكل فقال لأبيه إن علياً ابن عمك ولحمك ودمك فلا تدع هذا المخنث يأكل لحمه فضحك المتوكل وقال للمغنين غنوا: "غار الفتى لابن عمه رأس الفتى فى حرامه[9]".

وذلك لأن المتوكل كان يعاب عليه بغضه لعلى بن أبى طالب وذريته، حتى إنه أمر بهدم قبر الحسين السبط وأهل بيته فهدمت كلها وفى ذلك يقول الشاعر:

تالله[10] إن كانت أميـــــة قد أتت ... قتل ابن بـــنت نبيها مظلوما
فلقــــد أتشـــاه بنو أبيه بمثلــــه ... هذا لعمرى قـــبره مهدومـــا
أسفوا على أن لا يكونوا شاركـــوا ... فى قتله، فتتبعـــوه رميمـــــا

وقتل على ذلك يعقوب بن إسحق المعروف بابن السكيت الإمام فى العربية؛ إذ ندبه المتوكل لتعليم أولاده، ونظر يوماً المتوكل إلى ولديه المعتز[11] والمؤيد[12] ،وقال لابن السكيت من أحب إليك: هما أوالحسن والحسين؟ فقال قنبر (يعنى مولى على بن أبى طالب) خير منك ومن ولديك، فأمر المتوكل الأتراك فداسوا بطنه حتى مات، وقيل أمر بسلّ لسانه فمات من ساعته وأرسل إلى ابنه ديته، وكان يعقوب رافضيا[13].

وكان مما وشى به الواشون من العلويين للمتوكل، أبو الحسن على الهادى من أحفاد على بن أبى طالب، وكان يقيم فى المدينة المنورة، فأمر باستقدامه إلى سامراء والإقامة فيها، لكن السعايات لم تنقطع؛ إذ قيل له إن عنده كتباً وسلاحاً فأمر بمهاجمة منزله ليلاً، فوجدوه منفرداً يصلى ويترنم بآيات من القرآن، ووجدوا المنزل خالياً من كل ما بلغ الخليفة فحمل، إليه فى جوف الليل، فلما رآه أعظمه وأجلسه إلى جانبه، وكان فى مجلس شرابه وعرض عليه الكأس، فقال يا أمير المؤمنين ما خاسر لحمى ودمى قط أعفنى، فأعفاه، وقال له أنشدنى شعراً، فقال إنى لقليل الرواية للشعر، فقال لابد من ذلك[14].

وبعد أن أنشده بكى المتوكل فى مجلسه، وأمر برفع الشراب، ولما تبين له كذب الوشاية وصله بأربعة آلاف دينار يقضى بها دينه وأعاده إلى منزله مكرماً[15].

وكان يحضر مجلس المتوكل كذلك بعض النساء من الجوارى، ومن هؤلاء فضل[16] الشاعرة اليمانية التى كانت تجلس فى مجلسه على كرسى تعارض

الشعراء بحضرته، فألقى عليها أبودلف القاسم بن عيسى العجلى بعض أبيات من الشعر منها:

قالوا عشقتَ صَغيرة فأجبتهم ∴ أشهى المُطِى إلىّ ما لـــم يُركَبِ
كم بين حبّة لؤلـــؤ مثقوبةٍ ∴ لُبسَتِ وحبـــة لؤلؤً لــــم تُثقَبِ

فقالت فضل مجيبة:

إنّ المطية لا يَلَذّ ركُوبها ∴ حتى تذللّ بالزّمام وتُركب
والحَبُّ ليس بنافعٍ أربابهُ ∴ حتى يؤلفَّ بالنظام ويُثقَبُ[17]

ومن الجوارى المغنيات محبوبة، كانت حسنة الوجه والغناء، أهداها عبيد الله بن طاهر إلى المتوكل لما ولى الخلافة فى جملة أربعمائة جارية[18].

وكانت محبوبة ممن يحضر مجلس الخليفة المتوكل الذى أعطاها يوماً تفاحة، وكان يشرب والشعراء بين يديه فقبلتها، وفعلت ذلك احتراماً لمهديها، وانصرفت عن مجلسه، ثم خرجت جارية لها ومعها رقعة رفعتها إلى المتوكل فقرأها وضحك[19].

وتسجل الأحداث مبالغة الخليفة المتوكل فى الإسراف، فمن مظاهر ذلك قيامه بتشييد مدينة الجعفرية، وإيقافه على ذلك من ميزانية الدولة أكثر من مليونى دينار، ولم يقتصر الأمر على ذلك، بل بنى بها قصر اللؤلؤة، وأطلق عليه اسم الخاصة المتوكلية[20]. ونستدل من الاسم على أن القصر كان مخصصاً لانعقاد مجالس الخليفة الخاصة، وكان يوم افتتاح المدينة من الأيام المشهودة، فقد جمع الخليفة القراء والمغنيين وأصحاب الملاهى، وأنفق على حفل الافتتاح مليونى درهم[21].

ومن مظاهر الإسراف أيضاً ما يسجله التنوخى على لسان على بن يحيى المنجم أحد أبرز ندماء المتوكل[22] عن عدد الخدم والفراشين الذين استخدمهم المتوكل فى قصره، وهو عدد لا يصدقه العقل إلا بصعوبة[23]، ومن المؤكد أن تؤدى هذه التصرفات إلى حدوث أزمة مالية، فبدلاً من توجيه هذه الأموال إلى مرافق الشعب وحاجاته أو إلى إعداد الجيوش ،نراها تنفق فى وجوه السفه؛ وهو مما أدى إلى هبوط قيمة العملة فى عهده[24].

وعلى الرغم من الأموال التى أنفقت، فإن مدينة الجعفرية التى بناها المتوكل لم يكتب لها البقاء طويلاً، فقد خربت بعد مقتله بأسبوع فقط[25].

أما عن نهاية المتوكل فقد كانت غريبة، لكننا يمكننا القول بأنها توافقت مع غرابة تصرفاته، فقد قُتل فى مجلس شرابه، قتله مماليكه الأتراك باتفاق مع ابنه المنتصر بالله[26]، وقتل معه وزيره ونديمه الفتح بن خاقان[27]، وذلك فى قصره

المعروف بالجعفرى (الخاصة المتوكلية). ويذكر ابن الحفص المغنى نديمه أن المتوكل شرب أربعة عشر رطلاً من الخمر، فلما دخل عليه الغلمان ليقتلوه، لم يكن فى حالة تجعله يدرى ما حوله، فلم يتمكن من الدفاع عن نفسه، ولم يتمكن من استدعاء الخدم على كثرتهم[28].

ويذكر السيوطى أن المتوكل كان له أربعة آلاف سرية تفرقن بعد موته، فصار إلى وصيف عدّة منهن فيهن محبوبة. وأصبح يوماً وأمر بإحضار جوارى المتوكل فأحضرن وعليهن الثياب الفاخرة الملونة والحلى وقد تزين وتعطرن سوى محبوبة فإنها جاءت مرهاء[29] متسلبة[30]، عليها ثياب بياض غير فاخرة، فغنى الجوارى وطربن وشربن، وطرب وصيف، ثم قال لمحبوبة: غنى فأخذت العود وغنت وهى تبكى[31] فاشتد ذلك على وصيف، وهم بقتلها، فاستوهبها منه بغا، وكان حاضراً، فوهبه إياه وأعتقها، وأمرها أن تقيم حيث أحبت، فخرجت إلى بغداد فأقامت بها حتى موتها[32].

ازداد فى المدة التى تلت مقتل المتوكل إلى تولية المعتضد (279-289 هـ/ 892-902م) نفوذ الأتراك، وسيطروا على الحكم، حتى إن بقاء أى خليفة فى الحكم كان مرهوناً بإرادتهم، فمات المنتصر بعد ستة أشهر من مقتل أبيه المتوكل، وخلع الأتراك المستعين (248-252 هـ/ 862-866م) ثم قتلوه، وكذلك فعلوا بالمعتز (252-255 هـ/ 866-869م)، ولم يسلم الخليفة المهتدى منهم فقتلوه هو الآخر، على الرغم من أنه أمر بتحريم القيان والخمر، وكان صواماً قواماً، وكان من أحسن الخلفاء سيرة وأظهرهم ورعاً وأكثرهم عبادة، وكان يتشبه بعمر بن عبد العزيز ويقول: "إنى أستحي أن يكون فى بنى أمية مثله، ولا يكون مثله فى بنى العباس"، وكان يجلس للمظالم. أما الخليفة المعتمد فكان كالمحجور[33] عليه، ولا أمر ينفذ له ولا نهى، فقد كانت السلطة الحقيقية فى يد أخيه أبى أحمد طلحة الموفق، فهو رجل الدولة الحازم، الذى جمع الأمور كلها فى يده. وبرغم أن الأمور كلها تُدار باسم الخليفة المعتمد، ويستخدم منصبه للتأثير الروحى إذا لزم الأمر، كما حدث فى القتال الذى وقع بين الخلافة ويعقوب بن الليث الصفار، وذلك للتأثير فى جنود الصفار بأنهم يقاتلون الخليفة صاحب السلطان الشرعى؛ وهو الأمر الذى يجعل من الصفار، خارجاً على الخلافة فى نظر رجاله. وأدى ذلك بالفعل إلى تخاذل كثير من جنود الصفار عنه، وانتصرت الخلافة بقيادة الموفق[34]، فى الوقت الذى انشغل المعتمد فى اللهووالملذات، واشتغل عن الرعية. وكان شغوفاً بالطرب والغناء والموسيقى[35]، ومن ذلك أنه أمر بشراء مغنية حسنة الغناء اسمها نبت بثلاثين ألف درهم، وهذا مظهر من مظاهر الإسراف الذى اشتهر به الخلفاء فى العصر العباسى الثانى.

مجلس الخاصة للخليفة المعتضد بالله[36]

اختلفت مجالس الخليفة المعتضد عن مثيلاتها أيام الخليفة المتوكل؛ إذ لم تشغله مجالسة الخاصة عن متابعة أمور الدولة وتدبير شئون الرعية، وكان لا يسأم البحث في أدق الأمور والتعرض لأبسط القضايا التي تشغل العامة، فاستعادت الخلافة في عهده ما فقدت من العزة والمهابة. ونستخلص مما أورده التنوخي أن المعتضد كان لا يشغله شيء عن التفكير في أمر الدولة، وإذا علم بأمر يمس أمنها من قريب أو بعيد لا يغمض له طرف، ولا يكتفي بإصدار الأوامر لوزير أوقائد للنهوض بمعالجة القضية، بل يتابع ولا يهدأ[37]، وهذا يؤكد الاختلاف البين بينه وبين جده المتوكل، وفي الوقت نفسه يؤكد التطابق بينه وبين الخليفة المعتصم[38].

ويذكر ذلك ابن حمدون نديم المعتضد الذي كان يحضر مجالسه الخاصة فيقول: في ليلة شراب مع المعتضد جاءه كتابٌ فقرأه وقطع الشرب، وتغير حاله، واستدعى الوزير عبيد الله بن سليمان، فجيء به وهو يظن أنه قبض عليه، فرمى إليه الكتاب، وقد ورد فيه أن رجلاً من الديلم دخل قزوين متنكراً، وقال له اكتب الساعة إلى صاحب الحرب والخراج وأقم قيامتهما وهددهما بالقتل، وطالبهما بالقبض على الرجل وأعلمهما أن دمهما مرتهن به حتى يحضرانه، وأمرهما ألا يدخل البلد مستأنفاً أحد إلا بجواز، حتى لا يتم لأحد من الديلم الدخولُ سراً، وأمر الوزير أن يتابع وصول الخطاب، فسأل ابن حمدون الخليفة قائلا لماذا ترك الشراب ونهض بالأمر على وجه السرعة، وكان من الممكن أن يؤخره إلى غد، فقال الخليفة: إن الديلم شر أمة في الدنيا وأتمهم مكراً وأشدهم بأساً، وأقواهم قلوباً، ووالله لقد طار عقلي فزعاً على الدولة من أن يتطرق إليهم دخول قزوين سراً، فيجتمع فيها منهم عدة يوقعون بمن فيها ويملكونها ويلحق الملك من الضعف والوهن بذلك أمر عظيم يكون سبباً في بطلان الدولة، وتخيلت أني لو أمسكت عن التدبير ساعة أنه يفوت، وأنهم يحتلون قزوين، و والله لو مسكوها واحتووا على دار المملكة فما هنأ لي الشرب، ولا طابت نفسي بمضي ساعة من زماني فارغة من تدبير عليهم فعملت ما رأيت[39].

والحق أن المعتضد ركز على تأكيد مصلحة الدولة، ويدل على ذلك موقفه من محاولة الديلم دخول قزوين ونهوضه للقضاء على محاولتهم. أما عن إنصافه في المعاملة ويتضح من خلال موقف حدث للمعتضد وهو في أحد مجالسه الخاصة، يدل على أنه كانت تشغله مظلمة رجل من العامة، ويتخذ منها قضية عامة لإقرار حق أو منع ظلم في أنحاء الدولة[40] حرصاً منه على إعادة الأمن إلى نصابه، وحسم القضايا بقليل من القول وكثير من العمل.

واقترن عصر المعتضد بمحاسبة العمال، فلم يفلت أى مقصر من الجزاء مهما بلغت منزلته، ومن ذلك أنه فى أحد المجالس الخاصة، شكا أحد العامة من مؤنس الخادم صاحب الشرطة، فنهض الخليفة لمحاسبته، وأصر على استرداد أصحاب الحقوق حقوقهم، وذلك خير دليل على حرص الخليفة على كبح جماح الجند، حتى لا يقوى أمرهم ويتمكنوا من العامة. ومن أشهر أقواله، فى هذا الخصوص، أن الرعية وديعة الله عند سلطانها وأن الله سائله عنها[41].

والواقع أننا نلمس مثل هذا التصدى للجند منذ بداية العصر العباسى الثانى، فمن المعروف أنهم كانوا يتجرءون على الناس، أما فى عهد المعتضد فقد اختلف الوضع بصورة كلية، ونستشهد على صدق ما ذهبنا إليه من كلام التنوخى تحت عنوان" مثل على ضبط المعتضد أمر جنده"[42]. والحقيقة أن الوزير فى عهد المعتضد كان ملتزماً؛ ذلك بأن الخليفة كان يفرض عليه رقابة شديدة على عكس من جاء بعده من الخلفاء، فكان يعرف ما يدور فى مجالس الوزير الخاصه ويكاشفه به، وقد أفادتنا المعلومات فى هذا الخصوص عن استدعاء الخليفة المعتضد وزيره القاسم بن عبيد الله[43]، وكان الوزير يخافه ويخفى عنه شربه ولعبه حتى لا يبدو أمامه منصرفا إلى ملذاته.

وكان المعتضد مقتصداً فى نفقاته الشخصية، برغم ما ذكر عن العصر العباسى الثانى وبعض خلفائه؛ فقد سار على غير سيرتهم؛ إذ كانت المبالغ الطائلة تنفق على موائدهم هم وبعض وزرائهم، أما هذا الخليفة فكان يقتصد من الطعام على ما يكفيه خوفاً من الله على مال المسلمين[44].

ومما لاشك فيه أن حرص المعتضد على الإنفاق هيأ للدولة عمارة بيت المال، فحدث انتعاش فى اقتصادها، ولم نسمع عن ارتفاع فى الأسعار أوأثر لمجاعه، والدليل على ذلك بلوغ ميزانية الدولة عام وفاته (289 هـ/ 901 م) عشرين مليون دينار نقداً وعيناً[45]، وذلك بعد الهبوط الملحوظ الذى اعترى الميزانية أيام الخليفة المتوكل، فقد كان ما فى بيت المال لا يتعدى أربعة ملايين دينار وسبعة ملايين درهم فقط[46].

وبلغت فراسة المعتضد أنه تنبأ بخراب ميزانية الدولة على أيدى ابنه جعفر (المقتدر)، إذ لا مفر من توليته الخلافة بعد أخيه المكتفى (على بن المعتضد) الذى توقع لها لا يظل فى الحكم بعد وفاته إلا فترة قصيرة. والسبب الذى بنى عليه المعتضد حيثياته هو ميل المقتدر الفطرى إلى الإسراف منذ مرحلة الطفولة[47]. وقد صدقت نبوءته فقد بلغ المقتدر من الإسراف حداً أضاع معه كل ما اجتهد المعتضد فى جمعه، واضطربت السياسة المالية فى عهده.

والواقع أن المعتضد ما وجد أمراً فى مصلحة المسلمين وصلاحاً للدولة إلا أجراه، حتى ولو خالف بذلك نفسه؛ ومن ذلك أنه جعل للقضاء استقلالاً وسلطة بدون تأثير من قبل الخليفة، حتى ولو كان أحد رجاله طرفاً فى قضية ما، وذلك اعترافاً منه بأن التدخل فى القضاء يعطله ويزيل هيبة الخليفة، فالقضاء فى نظره عمود السلطان، وقوام الأديان. ويؤكد هذا قصة القاضى أبى محمد البصرى[48] الذى أدب أحد مماليك المعتضد[49].

ومن مواقف المعتضد العادلة مع عماله عند محاسبتهم موقفه من أبى العباس أحمد بن بسطام الذى كان يتولى أعمال واسط، واضطربت الأمور عليه، فأمر الخليفة بإسقاط ما بقى عليه من الديون مقابل مصروف كان يؤديه إلى أهل المصر الذى كان يتولاه، واعتمد شهادة الناس له[50].

ومن فضائله أيضاً أنه كان إذا نكب رجل من قادته أمر عماله أمرهم ألاّ يعمدوا إلى التنكيل به إلا فى حال التأكد مما نسب إليه، ومنها موقفه من وزيره إسماعيل بن بليل حين غضب عليه وأراد قتله، غير أنه استبعد إهراق دمه بغير حق، فاستدعى القاضى إسماعيل بن اسحق[51]، وسأله عن سيرة الوزير، فأفصح القاضى عن هوية الوزير، ودل الخليفة على ما يفيد خروجه عن الإسلام، وعندما تثبت الخليفة من قول القاضى أمر بقتل الوزير[52].

ومما هو جدير بالذكر أن المعتضد أحسن إلى العلويين ؛إذ كان يضطرم حباً لعلى بن أبى طالب[53] وبغضاً لمعاوية بن أبى سفيان، حتى إنه قرر أن يذكر مثالب معاوية على المنابر ويدعوالناس إلى ذلك، ولقد حاول قواده ونصحاؤه ثنيه عن ذلك، فلم يزده إلا إصراراً، ولكن وزيره عبيد الله بن سليمان تمكن من إقناعه بأن إذاعة هذا المنشور من شأنه أن يقوى موقف العلويين الثائرين ضد الدولة العباسية فى بلاد الديلم وغيرها من المناطق، وإذا سمع الناس هذا من فضائل أهل البيت كانوا إليهم أميل، فأمسك المعتضد عن ذلك[54].

وعلى الرغم من أنه قطع شوطاً بعيداً فى إصلاح الفساد وسياسة الأمور فإنه أفسح للهو جزءاً من وقت فراغه[55]؛ إذ كان يلجأ أحياناً إلى اللعب مع أصحابه وندمائه، ولكن فى غير استغراق أو تبذل للحفاظ على هيبة الخلافة ووقارها.

ويذكر ابن حمدون (نديم الخليفة المعتضد) أنه لم ينشغل بمجالسة الخاصة عن صلاة قط، وأنه كان على قدر كبير من العفاف عن أموال الناس، فلم يتطلع يوماً إلى استغلال بيت مال العامة فى إشباع رغبة عنده[56].

كما أن الخليفة لم يقدم على إنفاق مال إلا بحقه[57] ، ولم ينفق على مجالسه الخاصة أو على ندمائه من بيت المال، كما فعل الخليفة المتوكل؛ لذلك لم نر ندماء أو أصدقاء للمعتضد قوى أمرهم مالياً إلى المستوى الذى كانوا عليه فى عهد المتوكل الذى كان يكافئ على بيت شعر ألف دينار[58] .

والمعتضد هو الذى ترك سامراء، واستبدل بها بغداد فضاعت أبهتها، وخربت بعد أن كانت تضارع بغداد، بل إنه لم يكن فى الأرض كلها أحسن منها ولا أجمل ولا أعظم ولا آنس ولا أوسع ملكاً منها، ولما استدبر أمرها جعلت تنقض وتحمل أنقاضها إلى بغداد[59] .

توفى المعتضد عام 289 هـ / 902 م وفى بيت ماله الخاص ما يقرب من عشرة ملايين دينار عدا ما كان فى بيت مال الخلافة العام[60] ، وتولى بعده ولى عهده ابنه المكتفى.

مجلس الخاصة للخليفة المكتفى[61] بالله

لم يستطع المكتفى أن يملأ الفراغ الذى تركه والده الخليفة المعتضد فقد أحكم المعتضد قبضته على رجال الدولة وتابع تحركاتهم اليومية وحاسبهم، ولم يترك لأحدهم فرصة تدبير أمر أو عقد عهد دون الرجوع إليه، ورأينا كم كان الوزير القاسم بن عبيد الله يهاب الدخول على الخليفة فى مجلسه، وكان يتقرب من ندمائه حتى يستطيع الوصول إليه.

ومجلس الخاصة أيام المكتفى ندرك منه إنه وقع فريسة سهلة بين يدى وزيره القاسم ابن عبيد الله، فقد استطاع هذا الوزير أن ينفرد بالمكتفى حتى عظم شأنه[62] . فقد استطاع التخلص من منافسيه وعندما علت منزلة الحسين بن عمروالنصرانى كاتب المكتفى[63] سعى لإقصائه عن الوزارة وتوليه إبراهيم بن حمدان الشيرازى (كاتب الحسين) فأسرع الوزير بالتدبير لعزله واختلى بالخليفة فى مجلسه الخاص، ودبر معه للخلاص من الحسين بن عمرو[64] .

لم يتوقف الأمر على تنازع الرجال حول السلطة فى عهد المكتفى فقد انتكست البلاد فى عهده بعد أن كانت ابتدأت تنتعش فى عهد أبيه المعتضد وجده الموفق حيث ابتدأت ولايته بظهور المنافسات بين ذوى النفوذ فى الدولة فكان أحدهم يكيد للآخر شر كيد حتى يورده المهالك من غير نظر إلى ما تقتضيه مصلحة الأمة.

وزادت ظاهرة اقتطاع أجزاء من أراضى الدولة العباسية فقد أصبح السامانيون أصحاب النفوذ المطلق فى فارس، وتفاقم شر القرامطة حول بغداد والبصرة وفى سورية واليمن بزعامة زكرويه وألقوا الرعب والفزع فى القلوب وانتهى أمرهم بأن هزمهم جيش الخليفة وأسر زكرويه قائدهم الذى مات بعد خمسة أيام[65] .

وفى عهد المكتفى انقرضت دولتان إحداهما دولة بنى طولون بمصر على يد القائد محمد بن سليمان الكاتب الذى تقلد ولايتها مكافأة له على جهوده فى إعادتها لسيطرة الدولة العباسية[66].

والثانية دولة الأغالبة بإفريقية انتهت على يدى ابن عبد الله الشيعى داعية الفاطميين بالمغرب[67].

كذلك ارتفع شأن النساء أيضاً فى عهد المكتفى وأصبح لهن دور فى سياسة الدولة ومن هؤلاء النساء داية المكتفى التى تسمى فارس التى ارتفعت منزلتها إلى أن أصبحت قهرمانة (مديرة بيت الخلافة) حتى أنها تدخلت فى تولية الوزراء وعزلهم[68] ويبدوا أن تدخل النساء فى الحكم بدأ فى عهد المكتفى وتأصل فى عهد المقتدر فقد زادت مهامهن بشكل ملحوظ فأصبحن يشاركن بصورة جدية فى الحكم[69].

مات المكتفى شاباً فى ليلة الأحد لاثنتى عشرة ليلة خلت من ذى القعدة سنة 295 هـ/ 908 م، وقال فى علته والله ما آسى إلا على سبعمائة ألف دينار صرفتها من مال المسلمين فى أبنية ما احتجت إليها، وكنت مستغنياً عنها، أخاف أن أسأل عنها وإنى أستغفر الله منها[70].

مجلس الخاصة للخليفة المقتدر[71] بالله

الواقع أننا لا نقدم لعصر المقتدر من خلال كلام الندماء أوالأصدقاء ولكن ننقل تقريراً جاء على لسان الوزير على بن عيسى أشهر وزراء العصر العباسى الثانى يصف فيه المقتدر على الرغم من صغر سنه حين خلافته، إنه كان جيد العقل صحيح التفكير على دراية بأمور الدولة وخبرة بدروبها[72].

أخلد إلى الركون وترك الفرصة المتاحة حتى عاشت الدولة أوضاع سيئة على مختلف الأصعدة، ويفهم مما عرضه أنه لم يكن متحيزاً للمقتدر أو معارضاً له لأنه نقل حديثاً دار بين الخليفة وبعض رجال الدولة كان محوره سياسة المقتدر وأفعاله[73].

وشارك على بن عيسى فى مدح المقتدر أيضاً الحاجب أبو القاسم سلامة الطولونى وعلى بن الحوارى[74] ونصر القشورى[75] فى أن المقتدر كان يبحث المعروض عليه من الأعمال ويدقق فيه ويبدى رأيه، ويثبت الخطأ ويذكر الصحيح، فلا يجد العامل بدأ من العدول إلى رأى الخليفة لما فيه من الصواب والعمل به[76].

وقد لا نغلو إذا قلنا أن سياسة المقتدر التى غلب عليها طابع التبذير والانهماك فى الملذات والشراب والعزوف عن شؤون الدولة مع أنه رغم ذلك حين يصحو من الشراب يصلى كثيراً ويتعبد.

ومن المعقول أن خليفة كهذا لا يستطيع أن يتسلم ناصية الأمور، ولابد من أن يكون إلى جانبه جماعة يسيرون الأمور، وينوبون عنه لينطلق هو إلى ملذاته. كانت الأيدى كثيرة لتوجيهه، وكانت أمه واسمها شعب أو السيدة تحيط به، وتوجهه على طريقتها ويحيط به الحريم فى دار الخلافة، وظهر جلياً تأثير الحريم فى توجيه سياسة الدولة وإلى جانب الحريم الوزراء مما جعل الخليفة فى مهب الريح يطلق السلطان حيناً لحريمه، وحيناً آخر لوزرائه مما جعلهم يتسابقون لتلبية رغباته فى الإنفاق والتبذير ولما كانت نفقاته كبيرة، والمال الذى وجده فى بيت ماله الخاص (خمسة عشر مليون دينار) لا ينبع بل ينضب، وعدد الجيش مع الحرس كبير، فإن الحاجة إلى المال تزداد مع الزمن حتى أنه بدأ فى بيع ضياعه، وكان يعزل الوزراء ويولى غيرهم فغلب على الدولة عدم الاستقرار وضاعت هيبة الخلافة من ناحية وحدث عجز فى ميزانيتها بشكل لم يسبق له مثيل من ناحية أخرى، فمن المعروف أن المقتدر استوزر اثنى عشر وزيراً فى مدة خلافته (295-320 هـ/ 908-932م) وكان بعض الوزراء لا يستقر فى الوزارة حتى يدور العام، وذلك لكثرة الزعامات فى الدولة[77].

وهناك ظاهرة جديدة فى العصر العباسى الثانى وفى عهد المقتدر، هى كثرة تولية كبار الموظفين وعزلهم، حتى قيل أنه عين فى يوم واحد تسعة عشر ناظراً للكوفة، وكان تغيير الوزراء يؤدى إلى تغيير الأتباع والمحاسيب من موظفيهم فيعزلوا بعزلهم.

ورغم ما عُرف به المقتدر من الضعف وما كانت عليه الخلافة من تفكك ووهن فقد ظهرت الدولة العباسية فى عهده بمظهر القوة حين علم أن رسول إمبراطورية الروم قسطنطين السابع فى طريقه إلى بغداد لطلب الهدنة وتبادل الأسرى فقد أنشأ لذلك داراً لاستقبال رسول الإمبراطور، عرفت بدار الشجرة، وفرشت بالفروش الجميلة، وزينت بالآيات الجليلة ورتب الحجاب وخلفاؤهم والحواشى على طبقاتهم، على أبوابها ودهاليزها وممراتها ومخترقاتها ومجالسها ووقف الجند صفين بالثياب الحسنة وتحتهم الروان بمراكب الذهب والفضة وبين أيديهم الخبائب على مثل هذه الصورة[78] ووصف السيوطى احتفال الخليفة برسول إمبراطور الدولة البيزنطية[79].

كل هذه النفقات والتبذير كان سبباً مباشراً فى ضياع هيبة الدولة من ناحية وحدوث عجز فى ميزانيتها بشكل لم يسبق له مثيل.

حيث كان المقتدر متقلب الطباع غير حازم فى قراراته وذلك حسب ما نستخلصه من المعلومات التى ساقها لنا التنوخى حول هذا المفهوم[80].

وقد جرى على ذلك طول مدة خلافته فقد يتبنى وجهة نظر أحد رجاله إلا أنه يعرض عنها حينما يتعرض لتأثير من رجل آخر مثلما حدث مع عامله على إقليم أذربيجان يوسف ابن أبى الساج[81].

وحول إسراف الخليفة المقتدر فى مجالسه الخاصة يروى التنوخى عن أحد الخدم الذين يعملون فى بستان الخليفة أن المقتدر أراد قضاء ليلة يشرب فيها فى بستان من نبات النرجس، وكانت النباتات صغيرة فاحتال الخدم وقاموا باستعمال مسحوق نبات المسك فى تسميد البستان بدلاً من السماد العضوى حتى لا تخرج منه رائحة غير مستحبة تؤذى الخليفة، ولاشك أن هذا العمل تكلف أموالاً طائلة[82]. فى الوقت الذى كانت الدولة فى حاجة إلى كل دينار لتدبير الأموال اللازمة لإعداد الجيوش لصد هجوم القرامطة الذين هددوا أمن الدولة وسلخوا بعض أقاليمها.

ومن مظاهر الإسراف الذى اتصف به الخليفة المقتدر كثرة الخدم فى دار الخلافة فقد وصل عددهم إلى ما يقرب من أحد عشر ألفاً من جنس واحد فقط مثل الصقالبة (هم السلاف من شرق أوربا) ناهيك عن الأجناس الأخرى مثل الروم، والسود، بخلاف الغلمان الحجرية وهم ألوف كثيرة، وهذه الأعداد إن لم يكن مبالغ فى ذكرها تحتاج إلى ميزانية خاصة تتحملها خزينة الدولة[83].

ومرد ذلك أن الخليفة يعيش فى معزل من شعبه فقد اختص نفسه وحاشيته وكبار رجال دولته بكل أنواع الترف والمتعة[84]، فى حين كتب على الشعب أن يكدح لينعم غيره أما هو فعليه أن يتجرع غصص البؤس والشقاء، وقد حرم حقوقه الأمر الذى أدى إلى انتشار المجاعات وزيادة الأسعار، وظهور الثورات العامة وانتشار اللصوصية[85].

ولم يقتصر الترف على الخليفة بل امتد إلى حاشيته فقد قلد الوزراء[86] وكبار رجال الدولة لدرجة أن رجلاً يسمى جعفراً (ملاح المركب) الذى كان يتنزه فيه الخليفة كان طعامه كل يوم جدياً مشوياً ولحماً مطبوخاً بالخل ورغيفاً مصنوعاً من الدقيق الأبيض، وقد اضطر الخليفة يوماً إلى أن يأكل من مائدة الملاح فاستطاب الطعام وطلب إضافة بعض الحلوى مع استمرار إعداد هذه الوجبة يومياً على سبيل الاحتياط، وكانت تكلف ما بين عشرة دنانير إلى خمسة عشر ديناراً، وظلت كذلك إلى أن قتل المقتدر دون أن يأكل منها[87].

ويلاحظ المبالغة فى وصف مظاهر البذخ فى عهد المقتدر وهذا يسلط الأضواء على الثراء الفاحش الذى كانت تتمتع به الطبقة الحاكمة، على الرغم من أن هذا الثراء لم

يكن نتيجة مباشرة لزيادة دخل الدولة، أومن ريع ضياع الخليفة بل على الضد من ذلك كان إهداراً لما فى بيت المال العام الذى اجتهد أسلافه فى تحصيله – فقد ذكر أن المقتدر أنفق على إسرافه وبذخه أكثر من سبعين مليون دينار[88].

وقد أوردنا فيما سبق أن الخليفة المعتضد تنبأ بضياع الدولة على يد المقتدر، والواقع أن ما حدث يدل على بعد نظر المعتضد فالمقتدر هوأول خليفة لجأ إلى بيع ضياعه فى تاريخ الدولة العباسية وقد برزت ملامح أساسية فى الدولة أرغمت الخليفة على الإقدام على مثل هذا العمل منها:

أولاً: سيطرة الغلمان[89] على إدارة الحكم وعدم قدرة الخليفة على تجاهل مطالبهم لاسيما من الناحية المالية.

ثانياً: عجز ميزانية الدولة عن الوفاء بالمتطلبات الأساسية حتى اتسع الفتق ولم يعد من الممكن رتقه، فقد أصبح بيت مال العامة[90] شبه خاو.

ثالثاً: إفلاس بيت مال الخاصة[91].

رابعاً: عدم نهوض الخليفة لمعالجة ذلك الأمر الذى أدى إلى تفاقم الأمور حتى أرغم الخليفة على التقدم لبيع الأملاك الخاصة بالأسرة المالكة[92].

لاشك أن إسراف الخليفة مع قلة موارد الدولة أديا إلى وجود تباين فى الدخول فقل عدد أصحاب الدخول الكبيرة نتيجة لمصادرة أموالهم لسد نفقات الدولة[93] ووجود طبقة متوسطة صغيرة من أصحاب الحرف بعيداً عن بغداد وفى الوقت الذى كان فيه دخل العامة بسيط[94].

وقد ذكر بعض المؤرخين المحدثين أن الدولة فى عهد المقتدر ضاعت بين الجند والنساء والترك[95] هذا وقد أصبح قصر خلافة المقتدر نهباً لكل عابر، يستطيع أى رجل له معرفة بأحد الخدم أن يرتفع شأنه ويصبح من الأغنياء، وكثيراً ما كان الخليفة بنفسه يغدق على بعض الناس إرضاء لخادمته أو بإشارة من أمه، ويؤكد ذلك ما ذكره أحد ندماء الخليفة مما يوضح منزلة الخدم فى عهد المقتدر[96]. لذلك نرى أن إسراف المقتدر[97] الذى بلغ فيه حداً تسبب فى إهدار قيمة الخلافة ولم يعد قادراً على إمضاء الأمور كانت نتيجته أن طمع فيه من هو دونه مثل الجند والقواد وأرغموه على أن يصدع لأوامرهم وبالتالى تعطلت إدارة الحكم فى الدولة، وأصبح طلب المال لسد نهمهم سيفاً مسلطاً من الجند على نحره حتى أن الجند انسحبوا من جيشه سنة 320 هـ/ 931 م لعدم قدرته على مواصلة صرف رواتبهم وانضموا إلى مؤنس الثائر ضده، وكانت نهاية الخليفة المأساوية على أيديهم[98].

مجلس الخاصة للخليفة الراضى[99] بالله

فى عهد هذا الخليفة تقوضت سلطة الخلافة وأفل نجمها وكانت الحال تزيد ادباراً واضطراباً فى عهده فأصحاب السلطان فى العراق يتنافسون ويقتتلون والذين يحيطون بهم من المتغلبين يجدون ويجتهدون فدولة الأندلس زهت وعظمت بهمة الخليفة عبد الرحمن الناصر الذى تسمى بذلك بعد أن وجد ضعف الخلافة العباسية وكذلك الدولة الفاطمية فى المغرب التى اشتدت وطأتها وتحاول الاستيلاء على مصر وبنوبويه ظهروا وارتفع شأنهم واستولوا على فارس، والروم وانتهزوا هذه الفرص لاقتطاع البلاد الإسلامية وغزوا الثغور فقد أصبح الخليفة الراضى صورة بلا معنى مع ابن رائق الذى تولى إمرة الأمراء سنة 324 هـ/ 935م[100].

وعلى الرغم من أن الراضى سُلبت سلطته إلا أن مجالس الخاصة فى عهده كانت تحاكى مثيلاتها أيام أبيه المقتدر، من حيث الترف والإسراف الذى كانت ملامحه تبدو فى كل شئ بغية جلب المتعة مع الندماء فى سهرات يتخللها الخمر والفكاهة وقرض الشعر فى غالب الأحيان ونستنتج مما أورده التنوخى أن الخليفة كان يلجأ لهذا الأسلوب ليهرب من الحقيقة التى عاشها باعتباره رجلاً على الهامش، فالصورة التى عايشها تمثل نمطاً مفروضاً عليه، فقد كفاه أمير الأمراء، مؤونة التفكير فى مصالح الدولة وتدبير شئونها، وصرفه إلى حياة خاصة عالمه فيها لا يتعدى الأصدقاء والندماء والشعراء[101].

ويروى عن إسراف الخليفة الراضى أنه أمر بمنح جائزة مالية لجماعة من ندمائه حضروا لمشاهدة مبنى جديد شُيد له، وحدد هذه الجائزة بوزن المقعد الذى يجلس عليه كل منهم من الدنانير، وكان لجوده معهم لا ينصرف أحدهم من عنده إلا بهدية من مال أو خلعة أو شئ من الطيب وهو على ذلك لم يستكثر على أحد من ندمائه كثرة ما يصل إليه[102].

هذا وقد وقف الراضى عاجزاً حيال سيطرة أمير الأمراء بجكم[103] على السلطة حتى أنه أصدر عملة من الدنانير والدراهم وطبع عليها صورته دون الخليفة الذى لم يفكر فى النهوض لاستعادة سلطته المسلوبة، واكتفى بالانشغال بمجالسة الخاصة بين الندماء يتجرع مع الخمر مرارة النسيان، ويستمع إلى الشعر ويقرضه، كما انشغل بمباشرة نسائه حتى كانت منيته، فقد مات بالاستسقاء، وهو دون الثلاثين من عمره سنة 329 هـ/ 940 م[104].

وكان الراضى أشد الخلفاء العباسيين تعلقاً بندمائه حتى أنه كان لا يطيق العيش بعيداً عنهم، فإذا غاب أحدهم أرسل فى طلبه، ومما يدل على شدة تعلقه بهم أنه تمنى الموت حزناً على وفاة قاضى القضاة(105).

ختم الراضى خلفاء بنى العباس فى أشياء منها أنه آخر خليفة دون له الشعر وآخر خليفة انفرد بتدبير الملك وآخر خليفة خطب على منبر يوم الجمعة وآخر خليفة جالس الجلساء، ووصل إليه الندماء وآخر خليفة كانت له نفقته وجوائزه وعطاياه وخزائنه، ومجالسه، وحجابه وأمور جارية على ترتيب الخلافة الأولى وآخر خليفة سافر بزى الخلفاء(106).

الخاتمة

بعد الانتهاء من الحديث عن المجالس الخاصة لبعض خلفاء بنى العباس فى العصر العباسى الثانى يحسن أن أشير إلى بعض النقاط الهامة فى الموضوع، والتى ناقشتها فى ثنايا البحث.

ولعل من أبرز تلك النقاط:

أولاً: أنه كان للخليفة العباسى مجلسان: مجلس رسمى، ومجلس خاص وبالنسبة للمجلس الخاص وهو موضوع البحث، كان فيه الخليفة أكثر قرباً وألفة بجلسائه الذين كانوا يختلفون من حيث الوظيفة ومدى الصلة فكان منهم رجال الدولة من وزراء وكتاب وقادة وكثيراً ما كان الخليفة يقرب إليه العلماء والأدباء والشعراء والندماء، كما كان يستمع إلى المغنين والموسيقيين والقصاص والشعراء والأدباء والمنجمين وتعددت مجالس الغناء والطرب.

ثانياً: كان يحضر مجلس الخليفة بعض النساء من شهيرات الجوارى وكبيرات الملحنات والمغنيات وذكر من ذلك بخاصة فى عهد الخليفة المتوكل الذى كان يحضر مجلسه الخاص بعضهن وتحدث مناظرات شعرية بينهن وبين ندمائه.

ثالثاً: مظاهر البذخ والإسراف والتبذير فى المجالس الخاصة مما أدى إلى حدوث أزمة مالية وبدلاً من توجيه هذه الأموال إلى مرافق الشعب وحاجاته أو إعداد الجيوش نرى بعض هؤلاء الخلفاء من بنى العباس ينفقون الأموال فى وجوه السفه واللهو والملذات مما أدى إلى حدوث العجز فى ميزانية الدولة بشكل لم يسبق له مثيل.

رابعاً: لاشك أن الإسراف فى المجالس الخاصة الذى كان إهداراً لبيت المال العام مع قلة موارد الدولة أدى إلى وجود تباين فى الدخول فقل عدد أصحاب الدخول الكبيرة نتيجة لمصادرة أموالهم لسد نفقات الدولة ووجود طبقة متوسطة صغيرة من أصحاب الحرف بعيداً عن بغداد فى الوقت الذى كان فيه دخل العامة بسيطاً، حيث ضاعت الدولة وخاصة فى عهد المقتدر بين الجند والنساء والترك.

خامساً: ضياع هيبة الخلافة حتى أن الخليفة فى ذلك العصر لم يعد قادراً على تصريف الأمور كان نتيجة ذلك أن طمع فيه من هو دونه مثل الجند والقواد وأرغموه على أن يصدع لأوامرهم وبالتالى تعطلت أداة الحكم فى الدولة وأصبح طلب المال لسد نهمهم سيفاً مسلطاً من الجند على نحره لعدم مقدرته على مواصلة صرف رواتبهم.

سادساً: اختلاف المجلس الخاص لبعض الخلفاء من أمثال المعتضد حيث لم تشغله مجالسه الخاصة عن متابعة أمور الدولة وتدبير شئون الرعية، والبحث فى أدق الأمور ولا يكتفى بإصدار الأوامر لوزير أو قائد للنهوض بمعالجة القضية بل يتابع وكان حريصاً فى الإنفاق فهيأ للدولة عمارة بيت المال فحدث انتعاش فى الاقتصاد وبلغت فراسته أنه تنبأ بخراب ميزانية الخلافة على أيدى ابنه جعفر الملقب بالمقتدر.

وأخيراً لو عقدت مقارنة بين خلفاء العصر العباسى الأول وخلفاء العصر العباسى الثانى لوجدنا اختلافاً كبيراً ففى العصر العباسى الأول عصر الخلفاء العظام، حيث كانت الخلافة لها كيان وصاحبة المكانة العالية والهيبة التى أخضعت الممالك وأذلت العروش التى كانت تُجاهر بعدائها لتلك الخلافة ثم جرى عليها ما جرى على مثيلاتها من الأمم التى عاشت فى عنفوان شبابها وذروة قوتها ولكن سرعان ما بدأ الضعف والتدهور فى العصر العباسى الثانى حيث تولى الخلفاء الذين انغمسوا فى ملذاتهم وأهملوا أحوال الرعية وكانوا يستحقون أن تُسحب منهم الثقة بعد أن تحكم بهم القواد والأتراك وأصبحوا على الهامش ليس لهم من الأمر شيء.

هذه فى الواقع نبذة قدمتها أرجوأن أكون قد وفقت فى إيضاح بعض الحقيقة عن هذه المجالس ولا أدعى فى هذا أننى قد أشرفت على النهاية أو وصلت إلى الغاية فى هذا الموضوع وإنما هى محاولة للوصول إلى الحقيقة التاريخية فإن أصبت فبتوفيق من الله، وإن أخطأت فحسبى أننى بشر وكلنا أخطاء، وما أردت إلا الحقيقة وليس غير الحقيقة بعيداً عن الهوى والانفعال قدر جهدى وطاقتى.

وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين.

هوامش البحث

(1) سورة الفرقان: آية 67.

(2) د. حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسى، ج2، القاهرة 1948م، ص 442، 443؛ د. حسن الباشا: دراسات فى الحضارة الإسلامية، دار النهضة العربية بالقاهرة، 1988م، ص 134، 135.

(3) هوجعفر بن محمد المعتصم أخوالخليفة الواثق بويع بالخلافة بعد موت أخيه وكان على نقيض أخيه وأبيه وعمه إذ أنه خالفهم فى القول بخلق القرآن ورد الناس إلى السنة وكان متعصباً ضد العلويين فهدم قبر الحسين واضطهد العلويين وأشياعهم وشدد على أهل الذمة، ولم يكن فى قوة أبيه المعتصم، الذى سيطر على الأمور الداخلية وغزا الروم ولم يكن فى حكمة أخيه الواثق الذى أحسن إلى أولاد عمومته من الطالبيين وزاد فى برهم ووقع المتوكل تحت تأثير مجموعة من الندماء بالإضافة إلى أنه كان متغير المزاج على جلسائه وندمائه فإذا غضب على أحدهم نفاه، وفى آخر أيامه وقع تحت تأثير زوجته قبيحة أم المعتز وقدمه على أخيه المنتصر ولى العهد فثار الأخير وتآمر مع الأتراك على قتل أبيه سنة 247 هـ/867 م، الطبرى: تاريخ الأمم والملوك، دار الفكر للطباعة بمصر، 1979م، ج 11، ص 64، 65؛ المسعودى: التنبيه والاشراف، دار مكتبة الهلال بيروت، ص 329؛ ابن طباطبا: الفخرى فى الآداب السلطانية، ص 237.

(4) ابن حمدون هو أبو محمد عبد الله أحمد بن إبراهيم كان أشهر ندماء المتوكل ورث المنادمة عن أبيه (كان أبوه ينادم المعتصم والواثق من بعده)، ياقوت الحموى: معجم الأدباء، مصر/ 1928م، ج 1، ص 365، 366.

(5) التنوخى: نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة، تحقيق عبود الشالجى، طبع دار صادر بيروت، 1971، ج 1، ص 301، 302.

(6) المسعودى: مروج الذهب ومعادن الجوهر، شرح الدكتور فقيه محمد قميحة، دار الكتب العلمية ببيروت، ج4، ص 141، 142.

(7) الجاحظ: التاج فى أخلاق الملوك، تحقيق أحمد زكى باشا، الأميرية بالقاهرة، 1952م، ص 150.

(8) ابن الأثير: الكامل فى التاريخ، دار الكتاب العربى بيروت، ج 5، ص 298.

(9) ابن الساعى: تاريخ الخلفاء العباسيين، القاهرة، 1993م، ص 84، ابن الأثير: المصدر السابق:، ج5 ، ص 287، 288. اليعقوبى: تاريخ اليعقوبى، بيروت، 1960م، ج3، ص 218.

(10) مكتوبة بالله فى كتاب السيوطى: تاريخ الخلفاء، دار المنار بالقاهرة، 2003، ص 265.

(11) المعتز: تولى الخلافة عام (252-255 هـ/ 866-869 م) وكانت أمه قبيحة أحد جوارى

المـــتوكل المشـــهورات بالجمـــال وهى رومية الأصل وسُميت بذلك خوفاً عليها من الحسد وعندما حبس الأتراك ابنها ومات فى سجنه هربت بالأموال والجواهـــــــر ورفضت دفع 50 ألـــف دينار رواتب الجند وضحت بابنها فى سبيل الأموال، حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإســـلام السياســـى، ج3، ص 32، 33؛ على إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام العام، النهضة العربية، 1971م، ص 429.

(12) المؤيـــد: أحد أولاد المتوكل من جارية مولده أندلسية اسمها اسحق ولدت له الموفق أبا أحمد وإبراهـــيم المؤيـــد الـــذى مات فى سجنه سنة 252 هـــ / 866 م ولم يتولى الخلافة، ابن الساعى: نساء الخلفاء، دار المعارف مصر، 1993م، ص 82.

(13) ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة، ج2، ص 285، ابن الساعى: تاريخ الخلفاء العباسيين، ص 76.

(14) فأنشده:

باتوا على قلل الأجيال تحرسهم
غلب الرجـــــال فما أفنتهم القال

واستنزلوا بعد عز عن معاقلهم
وأودعوا حفراً يا بئس ما نزلـــوا

ناداهم صارخ من بعد ما قبروا
أين الأسرّة والتيجان والحـــــلل

أين الوجوه التى كانت منعمة
من دونها تضرب الأستار والكلل

فأفصح القبر عنهم حين ساء لهم
تلك الوجوه عليها الــــدود يقتتل

قد طالما أكلوا دهراً وما شربوا
فأصبحوا بعد ذاك الأكل قد أكلوا

ابن الساعى: تاريخ الخلفاء العباسيين، ص 77.

(15) المسعودى: مروج الذهب، ج2، ص 397.

(16) فضـــل جارية الخليفة المتوكل جلبت من البصرة فاشتراها رجل من النخاسين بعشرة آلاف درهـــم فاشتراها منه محمد بن الفرج الراخجى (نسبة إلى مدينة رخج من مدن كابل)، وكان من أعيان الكتاب أيام المأمون إلى أيام المتوكل) وأهداها إلى المتوكل وكانت شاعرة ماجنة، ومـــن أحســـن الـــناس حظاً وأفصحهم كلاماً وأبلغهم فى مخاطبة وأبينهم فى محاورة ومن أظرف أهل زمانها نشأت فى البصرة ومولدها اليمامة؛ السيوطى: تاريخ الخلفاء العباسيين، ص 360؛ ابـــن المعـــتز: طبقات الشعراء، دار المعارف مصر، ص 426. وقال المتوكل يوماً لعلى بن الجهم فى أحد مجالسه الخاصة (قل بيتاً من الشعر وقل لفضل الشاعرة تجُزه) فقال على: أجيزى يا فضل:

لاذ بها يشتكى إليها ∴ فلم يجدْ عندها ملاذاً

فأطرقت هُنَيْهَة ثم قالت:

ولم تزل ضارعاً إليها ∴ تهطل أجفانُهُ رذاذاً

فعاتبته فزاد عشقاً ∴ فمات وجــداً فكان ماذا؟

- فطــرب المــتوكل وقــال: أحسنت وحياتى يا فضل وأمر لها بألفى درهم، ابن الساعى: نساء الخلفاء، ص 84، 85.

(17) ابن الساعى: المصدر السابق، ص 86، 87.

(18) المسعودى: مروج الذهب، ج4، س 73.

(19) ضحك المتوكل ورمى الرقعة إلى الشاعر على بن الجهم فقرأها فإذا فيها:

يا طيب تُفاحةٍ خلوتُ بها

تشعل نار الهَوى على كبدى

أبكى إليها فأشتكى دنفى

وما ألاقى فى شــدة الكمد

لو أن تُفاحة بكت لبكت

من رحمتى هذى التى بيدى

- فقال الشاعر على بن الجهم فما بقى والله أحد فى المجلس إلا استظرفها واستملح الأبيات وأمر المتوكل عريب وشارية فصنعتا فى الشعر لحنين غنى بهما باقى يومه) وعريب وشارية من شــهيرات الجــوارى وكبــيرات الملحــنات والمغنيات وكن يحضرن مجلس المتوكل، ابن الساعى: نساء الخلفاء، ص 93.

(20) ذكــر ياقوت الحموى أن المتوكل أجرى نهراً للمدينة من دجلة يزيد طوله عن سبعين ميلاً وعــندما انتقل إلى المدينة انتقل إليها خدمه وحشمه وعامة أهل سامراء حتى كادت تخلومن البشــر، كمــا ذكــر أن عملية اغتياله تمت فى هذا القصر، ياقوت الحموى: معجم البلدان، مصر، 1928م، ج 2، ص 143.

(21) الطبرى: تاريخ الأمم والملوك، مصر، 1979م، ج 11، ص 56.

(22) أبــو الحسن على بن أبى منصور المنجم كان راوية للأشعار والأخبار نادم الخليفة المتوكل وكان مقدمــاً عــنده وظل ينادم الخلفاء حتى سنة 275 هــ / 888 م فى عهد المعتمد وكان يجلس بين يــدى الخلفــاء وأســرهم ويفضــون إليه بأسرارهم وورث أبناءه المنادمة من بعده، ابن النديم: الفهرست، دار المعرفة بيروت، 1978م، ص 205.

(23) يذكــر التنوخى أن عدد الفراشين والخدم فى كل نوبة (وردية) فى دار المتوكل أربعة آلاف فراش وكانت النوبة يوماً كاملاً ثم يحضر غيرهم ويحل محلهم ومعنى هذا أن عدد الخدم فى

قصر الخلافة بلغ ثمانية آلاف، التنوخي: نشوار، ج5، ص 48 يضاف إلى ذلك ما ذكر عن إسرافه حيث أنه كافأ من أجاد طبخ قدر أعجبه بأن منحه قدراً مملوءة بالدراهم وينسب إليه أيضـاً نـوع مـن الحسـاء أطلق عليه اسم المتوكلية، حسن الباشا: دراسات فى الحضارة الإسلامية، ص 136.

(24) هبطـت قـيمة العملة حيث وصل سعر الدينار خمسة عشر درهماً، ياقوت: معجم البلدان، 1912، ص 31، قدامه بن جعفر، الخراج، ليدن، 1889م، ص 239.

(25) حـدث ذلك نتيجة إهمال أمر النهر الموصل إليها وعدم استكمال حفره، المسعودى: مروج الذهب، ج4، ص 148، ابن الأثير: الكامل فى التاريخ، ج5، ص 298.

(26) المنتصـر بالله ابن المتوكل أمه أم ولد اسمها حبشية تولى بعد أبيه سنة 248 هـ / 862 م بستة أشهر وكان شريكاً مع الأتراك فى دم أبيه قال عنه البحترى:

أكان ولى العهد أضمر غـدره ∴ فمن عجب أن ولى العهد غادره

فلا ملك الباقى تراث الذى مضى ∴ ولا حملت ذاك الدعـاء منابره

؛ محمد الخضرى: محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية، دار القلم، بيروت، 1986م، ج2، ص 301.

(27) الفتح بن خاقان أديب شاعر فصيح غاية فى الفطنة والذكاء استوزره الخليفة المتوكل وجعل لـه إمـارة الشام على أن ينيب عنه وكان يقدمه على جميع أهله وولده، الزركلى: الأعلام، مطبعة كوستا، بيروت، ج5، ص 331، الكتبى: فوات الوفيات، القاهرة، 1299 هـ، ج 2، ص 123، ويذكـر الطـبرى أن الفتح بن خاقان كان يشرف على مجلس الخاصة للمتوكل ويديـر شئون الندماء ويطلب منهم الغناء، الطبرى: تاريخ الأمم والملوك، ج11، ص 62، 63، ويذكر ابن العمرانى أن الفتح بن خاقان رمى نفسه على الخليفة حينما رأى ما فعله به الأتـراك، وقال له لا حياة بعدك يا أمير المؤمنين، ابن العمرانى: الأنباء فى تاريخ الخلفاء، تحقيق د. قاسم السامرائى، ليدن، 1973م، ص 125.

(28) الحنبلى: شذرات الذهب، ج2، ص 116.

(29) مرهاء: ابيضت بواطن أجفانها بترك الكحل فهى مرهاء.

(30) متسـلبة: لبست السلاب وهى ثياب المأتم كالحداد وكان عليها ثياب بيض وهما لباس الحزن عند بنى العباس.

(31) غنت محبوبة وهى تبكى:

أىُّ عيش يطيبُ لى ∴ لا أرى فيه جَعْفرا

ملكاً قد رأته عينى ∴ قتيـلاً مُعقـرا

؛ السـيوطى: تـاريخ الخلفـاء، ص 268 ويذكر "يلذ لى بدلاً من يطيب لى"، ابن الساعى: نساء الخلفاء، ص 97.

(32) ابن الساعى: نفس المصدر، ص 98.

(33) قال المعتمد فى حجر أخيه عليه:

أليس من العجائب إن مثلى ∴ يرى ما قل ممتنعاً عليه؟

وتؤخذ باسمه الدنيا جميعاً ∴ وما من ذاك شئ فى يديه

إليه تحمل الأموال طــراً ∴ ويمنع بعض ما يجبى إليه

(34) ابن الأثير: الكامل فى التاريخ، ج7، ص 103.

(35) المســعودى: التنبيه والإشراف، بيروت، ص 330، 334؛ ابن طباطبا: الفخرى فى الآداب السلطانية، مطبعة دار صادر بيروت، ص 239، 250.

(36) المعتضد هو أبو العباس أحمد بن الموفق طلحة حفيد الخليفة المتوكل تولى الخلافة بعد وفاة عمــه المعتمد سنة 279 هــ / 892 م وكان قوياً فى أمر الخلافة فقضى على الفساد، ومنع الجند من التعدى على الرعية، وأحسن إلى العلويين، وكان شجاعاً، مهيباً، وافر العقل، شديد الوطــأة وكان قليل الرحمة إذا غضب على قائد أمر أن يلقى فى حفرة ويردم عليه، وتوفى عن عمر يناهز السابعة والأربعين، السيوطى: تاريخ الخلفاء، ص 282، المسعودى: التنبيه والإشراف، ص 336.

(37) التنوخى: نشوار المحاضرة، ج1، ص 319.

(38) المعتصــم ثامن خلفاء بنى العباس تولى الخلافة (218-227 هــ / 833-842م) وكان ذا شجاعة، وهمة، وقوة، ويُحكى أنه كان يوماً فى مجلس شرابه فبلغه أن امرأة هاشمية لطمها بعض نصارى عمورية فصاحت وامعتصماه فختم المعتصم الكأس التى كانت بيده وحلف لا يشــربها حــتى يفــك أسر المرأة ويأخذ بثأرها وتوجه إلى عمورية فى سبعين ألف جندى وحاصــرها ولم يزل حتى فتحها بالسيف وخربها وأحرقها وأحضر تلك الهاشمية وقال لها لبيك يا أختاه وأحضر تلك الكأس التى ختمها فشربها، ابن الساعى: تاريخ الخلفاء، ص 72.

(39) التنوخى: المصدر السابق، ص 321.

(40) ذكــر الحســن بــن إسماعيل بن اسحق القاضى نديم المعتضد أن الخليفة كان يشرب يوماً فى مجلــس الخاصة، وهو يشرب معه، فأدخل رجل على الخليفة يعمل قطاناً من أهل بركة زلزل (بيــن بغداد والكرخ)، قال: ليس للمسلمين ناظر فى أمورهم فقال له المعتضد: فأين أنا؟ وأى شغل يشغلنى؟ فاشتكى الرجل بأنه ابتاع شيئاً من رجل فوجد ميزانه ناقصاً، فأحضر المعتضد المحتسب إلى حضرته وبالغ الخليفة فى زجره وأنكر عليه إهمال شؤون عمله، وأمره بالتعيير (ضــبط العيار)، وتتبع الطوافين (الباعة الجائلين) وأهل الأسواق وأمر الخليفة بصرف القطان آمــناً، وكان المعتضد يعمد إلى ذلك حتى لا ينتشر مثل هذه الأعمال على لسان العامة ويظهر الفســاد ويولــد امتعاضــاً عند الناس، وتثور الفتن، وليس شئ أبلغ من حسم ذلك فينتشر عند العوام ما عليه الخليفة من التيقظ، التنوخى: نشوار، ج1، ص 326-328.

(41) حكى أحمد بن عبد الرحمن بن أبى عوف الذى كان نديماً للمعتضد وصديقاً للوزير عبيد الله بــن سليمان بن وهب الذى رفع مظلمة رجل يسكن فى قرية من أعمال واسط يشكوفيها أن مؤنسا أرسل رجالاً من قبله كبسوا على دكانه واستولوا على عقد قيمته ألف دينار، فكتب له

الخليفة رقعة ليسلمها إلى مؤنس قال فيها: يا مؤنس حسرت على قصد دكان رجل تاجر يعرف بقلان، وفتحت صندوقه، وأخذت منه عقد جوهر قيمته ألف دينار وأنا فى الدنيا، والله لولا إنها أول غلطة غلطتها ما جرى فى ذلك مناظرة، اركب بنفسك إلى دكان الرجل حتى ترد العقد فى الصندوق بيدك ظاهراً فلما قرأ مؤنس الرقعة اسود وجهه وارتعد ورد العقد بيده فى الصندوق، ابن الجوزى: المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم، مطبعة دار المعارف العثمانية، حيدر أباد، 1357 هـ، ج 5، ص 137.

(42) ذكر التنوخى أن رجل يسمى ذا النون بن موسى أنه خرج من قريته بريد عسكر مكرم (من نواحى خوزستان) ليبيع بطيخاً، فلقيه فى الطريق جيش عظيم وتسرع إليه جماعة منه وأخذوا ثلاث بطيخات أوأربع، وإذا بكوكبة عظيمة يتقدمها الخليفة المعتضد فشاهد الرجل يبكى فسأله عما يبكيه فاشتكى له من الجند فأمر الخليفة بإحضار الجندى الذى سرق البطيخ وأمر بضربه مائة مقرعة وهويقول له أما قدرت أن تمنع نفسك منه، هومالك؟ مال أبيك؟ أليس هذا الرجل الذى قد تعب بنفسه فى زرعه وسقيه، وأداء خراجه، التنوخى: نشوار المحاضرة، ج1، ص 329-330.

(43) استدعى المعتضد الوزير القاسم قبل أن ينصرف واستدعاه إلى أن صار بحيث لا يسمع كلامه غيره وقال له يا قاسم لودعوتنا البارحة، فكنا نلعب معك ولكنك احتشمت من أجل المصبغات التى لبستها أنت وعشيقتك، فكاد القاسم يموت جزعاً وقد علم أن المعتضد كان يدس غلماناً فى هيئات مختلفة تطوف فى الدواوين وأصحاب البريد، والجند وفى دار الوزارة، يدخل كل منهم حُجر الغلمان والخدم والجوارى والقهرمانات لتقصى الأخبار، وقد اكتشف الوزير أن رجلاً يجمع عنه الأخبار، ويكتب بها كل نصف نهار إلى الخادم الموكل بدار ابن طاهر، فيمضى بها الخادم إلى المعتضد وذلك مقابل راتب شهرى قدره ثلاثين دينار، التنوخى: المصدر السابق، ج3، ص 276-283.

(44) ويدل على ذلك ما يروى عن المعتضد أنه طلب يوماً لون من ألوان الطعام فلم يجده، فأمر ألا يخلوالمطبخ منه حتى إذا طلبه يجده، فداوموا على إحضاره طول العام، فلما رفعت له قائمة الحساب وكان يقف بنفسه على حساباته ورأى ما أنفق على ذلك اللون استهوله وقال: أستغفر الله أن ينفق لى من مال المسلمين على لون من الطعام هذا كله، إن هذا لعين الإسراف، وأمر بقطع عمله، التنوخى: نشوار، ج3، ص 192.

(45) ابن الجوزى: المنتظم، ج6، ص 32.

(46) المسعودى: مروج الذهب، ج4، ص 141.

(47) ودليل على ذلك ما ذكر على لسان صافى الحرمى مولى الخليفة المعتضد ومن أشهر قادة الدولة العباسية بقوله مشيت بين يدى المعتضد وهو يريد دار الحرم فرأى ولده جعفر (المقتدر) وله خمس سنين أو نحوها قد جمع عشر وصيفات من أقرانه وبين يديه طبق فضة فيه عنقود عنب فى وقت فيه العنب عزيز جداً، والصبى يأكل عنبه واحدة، ويطعم الجماعة عنبه عنبه على الدور حتى فنى العنقود، فتمزق المعتضد غيظاً وقال والله لولا النار والعار لقتلت هذا الصبى اليوم فإن قتله صلاح للأمة ثم أردف: أنا رجل سست الأمور وأصلحت الدنيا بعد فساد شديد، ولابد من موتى، وإن الناس سيجلسون ابنى علياً (المكتفى) وما أظن عمره يطول للعلة التى به، ولا يجدون بعده أكبر من جعفر فيجلسونه وهو صبى، وله من

الطمـــع والسخاء ما يضيع الثغور، وتنتشر الأمور وتخرج الخوارج وتحدث الأسباب التي يكـــون فـــيها زوال الملك عن بني العباس وضرب الدهر ضربته، وولي المكتفي ولم يطل عمـــره، ومـــات وولـــى المقتدر فكانت الصورة كما قالها المعتضد، الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج 11، ص 19، ابن الجوزي: المنتظم، ج 6، ص 108.

(48) هويوســـف بن يعقوب ولي قضاء البصرة وواسط والجانب الشرقي من الدولة وكان حافظاً، ديناً، عفيفاً، مهيباً، توفي سنة 297م وهووالد أبي عمر القاضي، ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ج2، ص 227.

(49) أورد التـــنوخي ما ذكره القاضي ابن عمر عن أبيه قوله: إن خادماً من وجوه خدم المعتضد قـــدم عليه في حكم فارتفع في المجلس فأمره الحاجب أن يجلس بموازاة خصمه، فلم يجلس إدلالاً بعظـــم محلـــه في الدولة، فصاح به القاضي وأجبره على الجلوس، وبلغ ذلك الخليفة المعتضـــد فصـــاح بخادمـــه قـــائلاً لوباعك لأجزت بيعه، ولما رددت إلى ملكي أبداً وليس خصوصـــك بي يزيل مرتبة الحكم، فإنه عمود السلطان، وقوام الأديان، التنوخي: المصدر السابق، ج 1، ص 245.

(50) كان ابن بسطام قد عجز عن سداد ضمان واسط وكان قيمته 70 ألف دينار، فحبسه الوزير عبـــيد الله بـــن سليمان ثم دخل على مجلس الخليفة رجل من أهل واسط وسلم الخليفة رقعة منها ثناء على ابن بسطام تفيد بأنه كان يفرق في أيام ولايته في كل شهر عشرين كرا حنطة ودقـــيق (الكـــر مقـــياس يساوي أربعين أردبا) كان يفرقهما على حاشيته وعلى المستورين والفقـــراء ولـــم يعطلهما، فقال المعتضد: قد يسرني هذا لأن ابن بسطام رجل مشهور بعظم المـــروءة، وكـــثرة المعروف، وسأل عما بقي عليه من الدين فقال الوزير بضعة عشر ألف دينار، فقال الخليفة: أسقطها عنه ورده إلى عمله، الصابي: الوزراء، تحقيق عبد الفتاح أحمد فرج، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، 1958م، ص 12، 49.

(51) أبـــو اســـحق إسماعيل الأزدي القاضي من أهل البصرة ولد سنة 200 هـــ / 815 م تولى القضـــاء فـــي عهد الخليفة المتوكل، وظل قاضياً حتى توفي سنة 282 هـــ / 895 م، ابن الجوزي: المنتظم، ج 5، ص 151، 152.

(52) لم يكتف الخليفة بسؤال القاضي إسماعيل بن اسحق وإنما استدعى القاضي يوسف بن يعقوب وســـأله عـــن إســـماعيل بـــن بلبل فقال أمرني الموفق بالنفقة على موسم الحج، وتقدم إلى إسماعيل أن يعطيني المال، فكنت ألزم مجلسه، فلزمته يوماً من الغداة إلى المغرب ما رأيته صلى ولا نهض من موضعه فقلت لعله يقضيها ليلاً فبت عنده ليلة نتحدث وأنا بين يديه إلى أن نعس ونمت بحضرته وما رأيته خلال ذلك يصلي فقال له المعتضد انصرف فقد أخبرتني بما أردته منك، ويذكر المسعودي أن المعتضد تفنن في تعذيب وزيره إسماعيل بن بلبل قبل إعدامـــه فقد جعل في عنقه غل ورمانة حديد وزنها مائة وعشرون رطلاً وعلقه من قدمه، وجعـــل رأسه في إناء ملئ بالشحم حتى مات ويرجح أنه فعل به ذلك لخروجه على الدين، المسعودي: مروج الذهب، ج4، ص 258.

(53) روى المعتضد أن أبوه الموفق غضب عليه قبل وفاته في أمر خالفه فيه فسجنه قال: فرأيت رؤيا حين كنت مسجوناً فاستبشرت بما رأيت فسألت شيخاً جالساً على نهر دجلة يمد يده إلى مـــاء دجله فيصير في يديه وتجف دجلة، ثم يرده من يده فتعود دجلة كما كانت فسألت عنه فقـــيل لـــي: هذا علي بن أبي طالب قال: فقمت فسلمت عليه، وقال: يا أحمد، إن هذا الأمر

صـــائر إلـــيك فلا تتعرض لولدى ولا تؤذيهم فقلت: السمع والطاعة يا أمير المؤمنين، ولما مـــرض أبـــوه أطلق من السجن وبعد موت الموفق، والمعتمد تولى الخلافة ولقب بالمعتضد حينئذ، بكر محمد إبراهيم: موسوعة التاريخ الإسلامى (الدولة العباسية)، مركز الراية للنشر والإعلام القاهرة، 2002م، ص 197.

(54) الطبرى: تاريخ الأمم والملوك، القاهرة، 1939م، ج 8، ص 183-189؛ السيوطى: تاريخ الخلفاء، ص 284؛ محمد ماهر حمادة: دراسة وثائقية للتاريخ الإسلامى ومصادره مؤسسة الرسالة، بيروت، 1988، ص 154.

(55) قال ابن حمدون نديم المعتضد أنه غرم على عمارة البحيرة ستين ألف دينار وكان يخلوفيها مع جواريه ومنهن محبوبته دريرة، السيوطى: تاريخ الخلفاء، ص 284.

(56) لعب المعتضد النرد (الطاولة فى أيامنا هذه) مع نديمه ابن حمدون فقمره ابن حمدون سبعين ألـــف درهم، فنهض الخليفة يصلى العصر، فلما انتهى من صلاته قال لنديمه: إنى أريد أن أعطـــيك سبعين ألف درهم من القمار؟ قال ابن حمدون أفتضغوا؟ (أى تتارجع عن التسديد) قـــال الخلـــيفة نعـــم ضغوت قم ولا تفكر ودخل فى صلاة العصر الفرض، ولما فرغ من صـــلاته، قال لابن حمدون: أما القمار فقد فاتك لأنى قد ضغوت بك ولكنى أهب لك سبعين ألـــف درهم من مالى فلا يكون علىّ إثم فى دفعها ولا عليك إثم فى أخذها، التنوخى: نشوار المحاضرة، ج 1، ص 266، 267.

(57) وقد تزوج المعتضد قطر الندى ابنة خمارويه وأمهرها ألف ألف درهم وقد سجل لنا التاريخ وصف هذا الزواج بأنه كان يفوق الخيال من التكاليف التى تكبدها خمارويه وكان من ضمن جهازهـــا أربعة آلاف تكة مجوهرة وعشرة صناديق جوهر وبذل خمارويه الأموال الطائلة فى تجهيز ابنته وغالى فى ذلك الجهاز ولم تطل حياتها إذ توفيت بعد قليل من زواجها، ابن تغـــرى بـــردى: الـــنجوم الزاهرة، ج 3، ص 78، على إبراهيم حسن: مصر فى العصور الوسطى، ص 72، 73.

(58) المسعودى: مروج الذهب، ج 4، ص 141-142.

(59) وفى ذلك يقول ابن المعتز:

قد أقفرت سامـــرا ∴ وما لشيء دوام

فالنقض يحمل منها ∴ كأنها آجـــــــام

ماتت كما مات فيل ∴ تسل منه العظام

وكـــان بســـامراء قـــبور ستة من الخلفاء هم الواثق والمتوكل والمنتصر والمعتز والمهتدى والمعتمد وبها قبر إمامين من أئمة الشيعة وهما على بن محمد والحسن بن على العسكريان، وبها الســـرداب الذى تزعم الشيعة أنه يخرج منه المهدى المنتظر، محمد الحضرى: محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية، ج2، ص 364.

(60) يوسف العش: تاريخ عصر الخلافة العباسية، دار الفكر دمشق، 1996م، ص 168.

(61) هوعلى بن المعتضد بن أحمد بن المتوكل وأمه أم ولد تركية اسمها جيجك بويع بالخلافة بعد

وفـــاة أبيه سنة 289 هـــ / 902 م ولم يزل بالخلافة حتى وفاته 295 هـــ / 908 م فكانت مدتـــه ســـت ســـنوات وستة أشهر، و19 يوماً، المسعودى: التنبيه والاشراف، ص 337، الخضرى: المرجع السابق، ص 365.

(62) القاســـم بن عبيد الله بن سليمان وزير المعتضد وأخذ البيعة للمكتفى بعد وفاة أبيه واستطاع فى عهـــد المكتفى التخلص من منافسيه ومنهم بدر غلام المعتضد الذى أصبح قائد الجيش فى إقليم فـــارس عندما أرسل للقواد الذين مع بدر بفارس وأمرهم بالمسير إليه ومفارقة بدر ففعلوا ولما رأى بدر ذلك انصرف إلى واسط فلما بلغ الخليفة انصرافه استولى على داره وغلمانه وقواده وأمـــر بمحواســـمه من الأعلام كلها، وكل ذلك كان بأغراء الوزير القاسم وتخويفه الخليفة من غدر بدر، ابن طباطبا: الفخرى، ص 258، الخضرى: محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية، ج 2، ص 366.

- وذلـــك لأن القاسم بعد موت المعتضد أراد صرف الخلافة عن المكتفى فامتنع عليه بدر فخافه القاسم وقلد المكتفى وبدأ التدبير للخلاص من بدر خوفاً أن يطلع الخليفة على ما كان عزم عليه وانـــتهى الأمـــر ببدر أن أرسل والخليفة له أحد القضاة بأمان فلما مثل بدر أمام الخليفة قتله فى رمضان 289 هـــ / 902 م، ابن الجوزى: المنتظم، ج 6، ص 148.

(63) الحســـين بن عمرو النصرانى تقلد ضياع الرى والإشراف على عسكر المكتفى ولاه الخليفة الـــرقة وأضـــاف إليه أعمال قنسرين والعواصم، وكان من ألمع المقربين للخليفة، الطبرى: تاريخ الأمم والملوك، ج 11، ص 373-374.

(64) كان الوزير القاسم قد أوجس فى نفسه من اختصاص الحسين وعلم من ابنه أن الحسين دبر مع الخليفة إقصاؤه وتولية إبراهيم بن حمدان الشيرازى، وأن فارس (داية المكتفى) مشتركة فـــى التدبـــير فأشار عليه ابن العباس بن الفرات (أخ وزير المقتدر بعد ذلك أبى الحسن بن الفـــرات) أن يزور كتاب على الحسين ويسب المكتفى فيه ففعل القاسم ذلك واختلى بالمكتفى فـــى مجلسه وسلمه الكتاب فقبض المكتفى على الحسين واستصفى أمواله ونفاه هو وإبراهيم الشـــيرازى إلى الأهواز ووكل بهما، فلما وصلا الأهواز قتلهما الموكلون بهما، ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج 3، ص 100.

(65) الحضرى: محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية، ج 2، ص 372.

(66) على إبراهيم حسن: التاريخ الإسلامى العام، ص 438.

(67) الخضرى: المرجع السابق، ص 373.

(68) التنوخى: نشوار المحاضرة، ج 3، ص 269.

(69) الوظـــيفة الأساسية للقهرمانة فى إدارة بيت الخلافة وتأدية الرسائل منه إلى الوزير، إلا أن الوظـــيفة تشـــعبت فى عهد المقتدر حتى أصبحت تتدخل فى أمور الدولة لدرجة أنها كانت تحضر تعذيب الوزير المعزول ويعتقل من دارها من يريد الخليفة اعتقاله وقد زادت مهامها حتى أنها كانت تجلس للنظر فى المظالم مثل شمل القهرمانة وقد بلغت من القوة لدرجة أنها تآمـــرت علـــى خلع الخليفة القاهر، مسكويه: تجارب الأمم، ج 1، ص 21، ابن الجوزى: المنتظم، ج6، ص 148.

(70) السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص 298، والجدير بالذكر أن المكتفى اتبع سيرة أبيه المعتضد فى جمع الأموال وجمع منها الشيء الكثير وحين توفى ترك فى بيت ماله الخاص خمسة عشر مليون دينار، يوسف العش، تاريخ عصر الخلافة العباسية، ص 168.

(71) هو جعفر بن المعتضد وهو أخو المكتفى وأمه أم ولد اسمها شغب تولى بعد أخيه عام 295 هـ / 908 م وكان عمره ثلاث عشرة سنة، شهدت الدولة فى أيامه أحداث جسام مثل اعتداء القرامطة على المسجد الحرام ونهبوا أموال الحجاج وقتلوهم وقلعوا الحجر الأسود وذهبوا به إلى هجر مقرهم بعد أخذ كسوة الكعبة، وقسموها فيما بينهم ونهبوا دور مكة ولولا أن المهدى الفاطمى كتب لزعيمهم أبوطاهر ينكر عليه ويلومه ويلعنه وطلب منه أن يرد على أهل مكة والحجاج وغيرهم ما أخذ منهم ويرد الحجر الأسود وكسوة الكعبة ويتبرأ منه فى الدنيا والآخرة فأعاد الحجر الأسود واستعاد ما أمكنه من أموال أهل مكة وقال إن أصحابه اقتسموا كسوة الكعبة وأموال الحجاج كذلك زاد تدخل النساء فى شئون الحكم وقد وقعت محاولتين للإطاحة به سنة 296 هـ / 909 م، 317 هـ / 929 م واشتد الخلاف بينه وبين قادته حتى أنهم اجتمعوا على قتله 320 هـ / 932 م، ابن طباطبا: الفخرى، ص 260، 264، الخضرى: المرجع السابق، ص 394.

(72) كان على بن عيسى محمد من شيوخ الكتاب، تقلد كثير من الدواوين، كان أبوه مرشحاً للوزارة فى عهد المتوكل، تناوب على بن عيسى الوزارة مع ابن الحسن بن الفرات للمقتدر، وكان مشهور لعلمه وعفافه، وهو صاحب ديوان البر لإصلاح الثغور والحرمين، وهو الذى أخذ البيعة للخليفة الراضى سنة 322 هـ / 934م وامتنع عن تولى الوزارة وإن غلب على التدبير لها، صادره الوزير أبو جعفر الكرخى سنة 324 هـ / 936 م ومات 334 هـ / 945 م أيام الدولة البويهية، الصابى: الوزراء، ص 305-306، ابن طباطبا: الفخرى، ص 267، 268.

(73) كان الوزير على بن عيسى فى حديث مع بعض رجال الدولة عن المقتدر وأفعاله فاتهمه البعض بالجهل وسوء التدبير، فدافع عنه الوزير قائلا: ما هوإلا أن يترك هذا الرجل شرب النبيذ خمسة أيام متتابعة حتى يصح ذهنه نخاطب بعدها رجلاً ما خاطبت أفضل منه، ولا أبصر بالرأى وأعرف بالأمور وأسد فى التدبير، كان كالمعتضد والمأمون ومن شابههما من الخلفاء، وما يفسده غير متابعة الشرب، ولا يخبله سواها، التنوخي: نشوار، ج 1، ص 282.

(74) على بن الحوارى من أصدقاء المقتدر وكان صاحب مشورة، قلده حامد بن العباس الوزير عطاء العسكر لسائر نواحى المغرب، وقع فى قبضة الحسن بن على بن الفرات فعذبه واتهمه بالتآمر ضد المقتدر، وأخرجه إلى الأهواز وأمر بقتله، مسكويه: تجارب الأمم وعواقب الهمم، ج 1، مصر، 1912 م، ص 49، 134.

(75) نصر القشورى صاحب المقتدر وصاحب رأى إلا أنه كان معادياً للوزير ابن الفرات فتآمر على قتله توفى سنة 316 هـ أثناء خروجه لحرب القرامطة، ابن الجوزى: المنتظم، ج 6، ص 220.

(76) التنوخي: نشوار المحاضرة، ج 1، ص 283.

(77) ابن الأثير: الكامل فى التاريخ، ج 6، ص 121، 200، 221.

(78) الخطيب البغدادى: تاريخ بغداد، ج 1، ص 100.

(79) قـال السـيوطى: فى سنة 305 هـ / 916 م تم عقد هدنة مع الروم، فعمل المقتدر موكباً عظيماً، فأقام العسكر وصفهم بالسلاح - وهم مائة وستون ألفاً - من باب الشماسية إلى دار الخلافة، وبعدهم الخدام وهم سبعة آلاف خادم، ويليهم الحجاب وهم سبعمائة حاجب، وكانت الستور التى نصبت على حيطان دار الخلافة ثمانية وثلاثين ألف ستر من الديباج والبسط اثنين وعشرين ألفاً وسار رسل الإمبراطور بين صفين، السيوطى: تاريخ الخلفاء، ص 29، حسن الباشا: دراسات فى الحضارة الإسلامية، ص 134.

- وكـان فى جملة الزينة شجرة من ذهب وفضة تشتمل على ثمانية عشر غصناً وأوراق الشجرة من الذهـب والفضـة وأغصانها تتمايل وعلى الأغصان طيور وعصافير مختلفة من الذهب والفضة تصفر بحركات مرتبة وشاهدا الرسول من العظمة ما يطول شرحه، حتى عندما انتهى الرسـولان ووصلا إلى الخليفة، فأطلق لكل رسول عشرين ألف درهم صله لهما، ابن الساعى: تاريخ الخلفاء العباسيين، ص 98، مسكويه: تجارب الأمم، ج 1، ص 53-55.

(80) نقـل التـنوخى عـن عبد الله بن جبير النصرانى (كاتب الوزير ابن الفرات) يقول: سألت الوزير عقب عودته من موكب الخليفة وكان مغموماً، عن سبب غمه فقال أنى أشكونقصان هـذا الـرجل (يقصـد الخليفة المقتدر) وشدة تلونه واختلاف رأيه فى كل الأمور صغارها وكبارها، فقد عرضت عليه تقليد رجل ناحية من النواحى لاستصلاح نيته واستدامة طاعته فقـال أفعل، ثم بحثت الأمر فوجدته قد يؤدى إلى طمع نظرائه فى مثل تقليده فتعظم التكلفة ويكثر الفساد، فقلت للخليفة أنى أرى أن نقبض عليه ونخلده الحبس قال الخليفة: أفعل ويذكر ابـن الفرات أنه وقع عليه ظلم من الخليفة حينما تقدم الحاجب نصر القشورى بالطعن على ابـن الفـرات وأشار بقتله فقال افعلوا، واستشعر ابن الفرات هذا فكان ما قدره، التنوخى: نشوار المحاضرة، ج 5، ص 69.

(81) وذلـك عـندما قبض على يوسف بن أبى الساج سنة 307 هـ / 918 م بعد حروب معه وأودعـه السجن بناء على مشورة بعض رجال الحاشية وظل ثلاث سنوات ثم تدخل مؤنس الخـادم لـدى الخلـيفة فأخرجه من السجن وخلع عليه وولاه كل البلاد فى مشرق الدولة العباسـية خـراجاً وحرباً وهذا يدل على أنه الخليفة لم يكن له قرار سواء فى القبض عليه أوفى إطلاقه، مسكويه: تجارب الأمم، ج 1، ص 83، ابن الأثير: الكامل فى التاريخ، ج 6، ص 176.

(82) لما انتهى الخليفة المقتدر من الشرب فى هذا البستان انتهب الخدم البستان واقتلعوا النرجس من طينه وخرج من المال شئ عظيم من ثمن ذلك المسك، التنوخى: نشوار المحاضرة: ج 1، ص 295.

(83) التنوخى: المصدر السابق، ج 5، ص 48.

(84) مسكويه: تجارب الأمم، ج 1، ص 53-55.

(85) ابن الجوزى: المنتظم، ج 6، ص 156، 159.

(86) مـن ألمع وزراء الخليفة المقتدر ابن الفرات وعلى بن عيسى حيث كان ابن الفرات إدارياً

ممتازاً ومواسياً لخراج الدولة المالية على الرغم من أنه لم يكن نظيف الكف واليد أما على بن عيسى فعبقرية إدارية من الطراز الممتاز ويفضل على الوزير ابن الفرات لتميزه بالعفة عـن أموال الدولة وأموال الناس وخوفه من الله ومحاولته استيفاء حقوق بيت المال بالطرق الشرعية دون ظلم أوإرهاق، مسكويه: تجارب الأمم، ج 1، ص 27.

(87) يذكـر التنوخى عن أبى منصور القشورى أحد الخدم فى دار الخلافة أن المقتدر بعدما أكل مع الملاح قال هات الحلوى فقال نحن لا نعرف الحلوى فقال المقتدر ما ظننت أن فى الدنيا من يأكل طعاماً بلا حلوى بعده وأمر صاحب المائدة (كبير الخدم) أن تعمل فى كل يوم سلة طعـام يصرف عليها ما بين عشرة دنانير إلى مائتين درهم ويسلمها لجعفر الملاح حتى إذا ركب إليه الخليفة غفلة يجدها معدة وإن حان المغرب ولم يحضر الخليفة تكون لجعفر فظلت على هذا الحال إلى أن مات المقتدر ولم يأكل منها، وكان جعفر يأخذها وربما كان يحاسب على ثمنها ويأخذه دراهم، التنوخى: نشوار، ج 3، ص 189-190.

(88) أورد مسـكويه أن المقـتدر أتلـف أكثر من سبعين مليون دينار سوى ما أنفقه فى موضعه وأخرجه فى وجوهه، وهذا أكثر مما جمعه الرشيد وخلفه، ولم يكن من ولد العباس من جمع أكـثر مـن الرشيد وقدم قائمة مفصلة لما دخل بيت المال من الأموال سواء من الأمصار أوالمصـادرات التى أجراها الخليفة على موظفى الدولة ولبعض التجار، وقد بلغ نحوتسعين مليون دينار لم ينفق منها فى موضعه سوى سبعة عشر مليون دينار وأتلف الباقى، مسكويه: تجـارب الأمـم، ج 1، ص 238-241، ويذكـر عن المقتدر أنه طلب عدد من الجواهر واخـتار منها مائة حبة ونظمها سبحة يسبح بها وعرضه على الجوهريين فقوموا كل حبة بألف دينار وأكثر ويقال أن ثمن السبحة ضعف الدخل الذى كان يحصل عليه الوزير فى كل عـام وأنهـا نهبت بعد موته ولعل من أخذها لا يدرى قيمتها، التنوخى: نشوار، ج 7، ص 266.

(89) الغلمـان: جماعة من الجنود المرتزقة عملوا بداية أمرهم تحت إشراف بعض القادة وسموا بأسـمائهم مـثل الغلمـان المؤنسية نسبة إلى مؤنس القائد، واليلبقية نسبة إلى يلبق الحاجب والغلمـان الحجرية نسبة إلى قبيلة حجر المشهورة من الأذد، وكانوا يشكلون حرس الخليفة الخـاص، وزاد نفوذهم بشكل ملحوظ فى عهد الخليفة المقتدر، وكان الغلمان الساجية أبرز الغلمـان الذيـن ظهروا فى عهد المقتدر أتباع القائد يوسف بن أبى الساج فقد سيطروا على دار الخلافة ووجهوا سياسة الدولة فترة من الزمن، القرطبى: الصلة، ص 77، ابن الأثير: الكامل فى التاريخ، ج 1، ص 255.

(90) بيـت مال العامة: هو المكان الذى تحفظ فيه الأموال الواردة من الأقاليم للإنفاق منها على المصالح العامة.

(91) بيت مال الخاصة هو المكان الذى تحفظ فيه الأموال الواردة من أملاك الخليفة وأسرته وحاشيته.

(92) ذكـر التنوخى على لسان القاضى أبى طالب بن بهلول قاضى مدينة بغداد سنة 316 هـ / 927 م أن الخلـيفة المقتدر استدعاه وحده فى بعض أيام المواكب وشهد اللقاء الوزير على بـن مقلـة فـى المجلس الخاص فقال المقتدر للقاضى قد ترى تكالب غلمانى هؤلاء على مطالبـتهم إيـاى بـالأموال ولوفقدونى لتمنوا أيامى، وقد عزمت على بيع ضياعى وديات بـالأهواز، وأمره أن يكتب إلى نائبه على قضاء الأهواز أبى قاسم على بن محمد، وتم بيع

الضـــياع فـــى عهـــد الوزير سليمان بن الحسن الذى خلف الوزير على بن مقله، التنوخى: نشوار المحاضرة، ج 1، ص 284-286.

(93) لجـــأ بعض رجال الدولة إلى دفن أموالهم حتى لا تقع فى أيدى المصادرين عند عزلهم، ولم يلجـــئوا إلى شراء الضياع وضعف الشعور بالملكية الخاصة، وأمثال ذلك الوزير حامد بن العباس الذى أخفى أمواله عن غلمانه وحاشيته كما كان يتولى بنفسه دفن الأموال فى البلاليع الـــتى احـــتفرها لهذا الغرض، واستخرج منها يوم مصادرته على يد الوزير أبى الحسن بن الفـــرات سنة 311 هـــ / 922 م ما يقرب من نصف مليون دينار، مسكويه: تجارب الأمم، ج 1، ص 103.

(94) الدورى: التاريخ الاقتصادى للعراق فى القرن الرابع الهجرى، بيروت، 1969م، ص 249.

(95) حســـن إبراهـــيم حسن: تاريخ الإسلام السياسى، ج 3، ص 22-23، يوسف العش: تاريخ عصر الخلافة العباسية، ص 173-174.

(96) يذكـــر علـــى بن هارون المنجم نديم المقتدر أن ابن عمه أبى القاسم يوسف المنجم كانت له دايـــة تســـمى نظـــم خدمت السيدة أم الخليفة المقتدر حتى صارت أحد قهارمها مكنت لأبى القاسم من دار الخلافة حتى أصبح من أصحاب عشرات الألوف من الدنانير وخلطته بخدمة الســـيدة، فعزم على ختان ابنه فأهدته السيدة أم الخليفة أموالاً عظيمة وفرس وأوانى وثياب حتى أنه استعار فى ذلك اليوم جميع الموظفين الذين يعملون فى مطبخ الخليفة وكان رزقهم فـــى الـــيوم الواحـــد ألف وخمسمائة دينار واقتصر الخليفة فى ذلك اليوم على أكل السمك فاشترى له سمك بثلاثمائة دينار، التنوخى: نشوار، ج 4، ص 145-149.

(97) لـــم يقتصر الإسراف على الخليفة، وإنما نافسته فى الإسراف والدته فقد أسرفت فى الإنفاق فـــى مناسبات طارئة كالأعياد وغيرها، وقد بلغت من التنعم منزلة لا تبارى ولعبت بأموال الدولة ومنها أن نعالها كانت تصنع من الديباج المطلى بالمسك والعنبر المذاب والمجمد من عـــدة طـــبقات وكانت السيدة لا تلبس النعل إلا عشرة أيام ويرمى وتذهب جملة دنانير فى ثمنها، التنوخى: نشوار، ج 1، ص 293، 294.

(98) عندما عجز عن الوفاء بمطالبهم ذبحوه وسلبوا ملابسه وتركوه فى العراء إلى أن مر رجل من العامة ستر جثته بالخيش، ودفنه وعفى قبره، ابن الأثير: الكامل فى التاريخ، ج 6، ص 220-221.

(99) الراضى بالله: أبوالعباس محمد بن المقتدر بن المعتضد أمه أم ولد رومية اسمها ظلوم بويع لـــه يوم خلع القاهر سنة 322 هـــ / 933 م ولم يزل خليفة إلى أن توفى سنة 329 هـــ / 940 م وكانت مدة خلافته ست سنين وعشرة أشهر وعشرة أيام، ابن طباطبا: الفخرى، ص 28، السيوطى: تاريخ الخلفاء، ص 298.

(100) اضـــطر الراضى إلى استقدام محمد بن رائق من واسط لتولى إمرة الأمراء بعد أن عظم أمـــر الغلمـــان وأصبحوا يشكلون خطراً على الخليفة وقلت الأموال لذا تمكن ابن رائق من الخلافـــة وأصبح الرجل الأول فى الدولة وارتضى الراضى لنفسه بالمركز الثانى، الذهبى: العبر فى خبر من غبر، دار الكتب العلمية، بيروت، ج 2، ص 21.

(101) ورد ذلـــك علـــى لسان أبى جعفر بن حمدون أحد ندماء الراضى يصف مجلساً خاصاً من مجالس الخليفة فيقول كنا نشرب مع الراضى يوماً فى مجلس مغصى بالفاكهة (مغطى بها) فمل منه وضجر وقال لخدمه افرشوا لنا المجلس الفلانى واطرحوا فيه ريحاناً وينلوفر (نوع مـــن أغلى أنواع المسك) طرحا فوق الحصر بلا أطباق ولا تعبئة كما تفعل العامة، وعجلوا ذلـــك الســـاعة، فلم تكن إلا لحظة حتى قالوا له قد فرغنا، فلما دخل المجلس لم يعجبه لون الـــريحان فأمـــر أن يســـحق الكـــافور ويوضع فوقه، فأقبلوا بصوانى الذهب فيها الكافور الـــريحانى المسحوق أرطالا ويطرح فوقه الريحان وعليه ندف من القطن الرقيق، وقال ابن حمـــدون قـــدرت ما استعمل من الكافور كان أكثر من ألف مثقال بشيء كثير فشرب عليه الخليفة وندمائه ولما قاموا نهبه الخدم، التنوخى: نشوار، ج 1، ص 296.

(102) المسعودى: مروج الذهب، ج 4، ص 380.

(103) بجكـــم الـــتركى كـــان عاملاً على الأهواز من قبل ابن رائق ثم انتقل إلى واسط واستغل ضـــعف ابن رائق ودخل بغداد وتولى إمرة الأمراء سنة 326 هـ / 937 م واعترف به الخلـــيفة الراضى الذى لم يكن يملك سوى الاعتراف بأقوى القادة شاء أم لم يشأ، ويذكر أن بجكم أصدر عمله عليها صورته من جهة ومن الجهة المقابلة كتب:

إنما العز فاعلم ∴ للأمير المعظم سيد الناس بجكم

– المسعودى: المصدر السابق، ص 381، ابن الأثير: الكامل فى التاريخ، ج 6، ص 226.

(104) من شعر الراضى:

أين من كان قبلنا ∴ ذهب الشخص والأثر

رب اغفر خطيئتى ∴ أنت يا خير من غفر

– ابن الجوزى: المنتظم، ج 6، ص 324.

(105) يذكـــر التـــنوخى أنه لما توفى قاضى القضاة أبا الحسين عمر محمد بن يوسف سنة 328 هـ / 939 م حـــزن الراضـــى حزناً شديداً عليه وقال: كنت أضيق بالشيء ذرعاً فيوسعه علىّ، وكان يقول فى بكائه لا بقيت بعده، التنوخى: نشوار، ج 4، ص 210.

(106) ابـــن طباطبا: الفخـــرى، ص 261؛ الخضرى: محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية، ج 2، ص 411؛ على إبراهيم حسن: التاريخ الإسلامى العام، ص 446.

المصادر والمراجع

1- القرآن الكريم

2- ابن الأثير: الكامل فى التاريخ، دار الكتاب العربى بيروت، 1967م.

3- ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة، القاهرة، 1948م

4- التـنوخى: نشـوار المحاضرة وأخبار المذاكرة، 8 أجزاء، تحقيق عبود الشالجى، دار صادر بيروت، 1971م.

5- الجاحظ: التاج فى أخلاق الملوك، تحقيق: أحمد زكى باشا، المطبعة الأميرية بالقاهرة، 1942م.

6- ابن الجوزى: المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم، دار المعارف العثمانية، حيدر اباد، 1357هـ.

7- الحنبلى: شذرات الذهب فى أخبار من ذهب، ج 1، ج 2، الكتب العلمية، بيروت، د.ت.

8- ابن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، بولاق، 1283هـ.

9- الذهبى: العبر فى خبر من غبر، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.

10- الزركلى: الأعلام، مطبعة كوستا، بيروت، د.ت.

11- ابن الساعى: تاريخ الخلفاء العباسيين، القاهرة، 1993م.

12- ابن الساعى: نساء الخلفاء، دار المعارف بمصر، 1993م.

13- السيوطى: تاريخ الخلفاء، دار المنار بالقاهرة، 2003م.

14- الصـابى: تاريخ الوزراء، تحقيق عبد الفتاح أحمد فرج، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، 1958م.

15- ابن طباطبا: الفخرى فى الآداب السلطانية، مطبعة دار صادر، بيروت، د.ت.

16- الطبرى: تاريخ الأمم والملوك، مصر، 1979م.

17- ابن العمرانى: الأنباء فى تاريخ الخلفاء، تحقيق د. قاسم السامرائى، ليدن، 1973م.

18- أبو الفدا: المختصر فى أخبار البشر، القاهرة، 1315 هـ.

19- قدامة بن جعفر: الخراج، ليدن، 1889م.

20- القرطبى: الصلة، دار الفكر العربى للطباعة والنشر بمصر، 1979م.

21- المسعودى: التنبيه والاشراف، دار مكتبة الهلال ببيروت، 1938 م.

22- المسـعودى: مروج الذهب ومعادن الجوهر، شرح د. فقيه محمد قميحة، دار الكتب العليمة بيروت، 1966م.

23- مسكويه: تجارب الأمم وعواقب الهمم، مصر، 1912م.

24- ابن المعتز: طبقات الشعراء، دار المعارف، مصر، د.ت.

25- ابن النديم: الفهرست، دار المعرفة، بيروت، 1978م.

26- ياقوت الحموى: معجم الأدباء، مصر، 1928م.

27- ياقوت الحموى: معجم البلدان، مصر، 1928م.

28- اليعقوبى: تاريخ اليعقوبى، بيروت، 1960م.

29- حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسى والدينى والثقافى والاجتماعى، ج 2، القاهرة، 1948م.

30- حسن الباشا: دراسات فى الحضارة الإسلامية، دار النهضة العربية، القاهرة، 1988م.

31- عبد العزيز الدورى: التاريخ الاقتصادى للعراق فى القرن الرابع الهجرى، بيروت، 1969م.

32- على إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام العام، النهضة العربية، 1971م.

33- على إبراهيم حسن: مصر فى العصور الوسطى، النهضة المصرية، القاهرة، 1951م.

34- ماهر حمادة: دراسة وثائقية للتاريخ الإسلامى ومصادره، مؤسسة الرسالة بيروت، 1988م.

35- محمد إبراهيم: موسوعة التاريخ الإسلامى (الدولة العباسية)، مركز الراية للنشر والإعلام، القاهرة، 2002م.

36- الشيخ محمد الخضرى: محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية، ج 2، دار القلم ببيروت، 1986م.

37- يوسف العش: تاريخ عصر الخلافة العباسية: دار الفكر، دمشق، 1996م.